حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة

الحلقة الخامسة (١)

«كتب التاريخ - تتمة»

بقلم الدكتور أحمد محمد الضبيب

عميد شئون المكتبات بجامعة الرياض

أما الكتاب الثاني من كتب الفاسي فهو كتابه الموسوعي الضخم «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» في ثمانية أجزاء. وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٩ هـ. وتوالى عليه ثلاثة محققين فبدأه محمد حامد الفقي ولكن الأجل وافاه وهو يعمل في هذا الجزء. فأكمله ابنه محمد الطيب. وليس في هذا الجزء في الحقيقة جهد علمي كبير. ثم عهد إلى فؤاد السيد بتحقيق الجزء الثاني وما بعده فأخرج الجزء الثاني سنة ١٣٨١ هـ/١٩٦٢م. وقدم له بمقدمة وافية تحدث فيها عن تطلعه منذ خمسة عشر عاما إلى تحقيق هذا الكتاب وحديثه مع الشيخ سليمان الصنيع مدير مكتبة الحرم المكي حوله. ثم مواتاة الفرصة للشيخ محمد حامد الفقي بالحصول على صورة المجلد الأول من الكتاب من نسخة العلامة ابن فهد. وهو محفوظ بمكتبة الشيخ محمد نصيف بجدة. ثم ترشيح الشيخ سليمان الصنيع له بإكماله بعد وفاة الفقي ثم ذكر منهجه في التحقيق معتمدا على أصول خطية ثلاثة هي:

أ — نسخة العلامة ابن فهد (ف).
ب — نسخة مكتبة قوله بدار الكتب المصرية رقم ٦ تاريخ (ق).
جـ — نسخة الخزانة التيمورية.
أما في الأجزاء الأخرى فقد أضاف نسخا خطية أخرى منها:
نسخة مكتبة الأزهر رقم ٧٠٩ تاريخ (ز) وتحوي الربع الثاني من الكتاب.
ونسخة كمبردج رقم ٦٨٢ (ك).

وتختلف النسخ باختلاف الجزء المحقق، فتارة تنقص نسخ أو تزيد أخرى أو يقتصر على بعضها دون البعض الآخر وقد صدر كل جزء بذكر المخطوطات التي اعتمد عليها فيه.

اما منهجه في التحقيق فقد ذكره في المقدمة فأشار الى أنه لم يثبت أصلا من النسخ التي بين يديه بل جعلها في مرتبة واحدة من حيث القيمة والأصالة، فأثبت ما صح لديه في المتن من القراءات السليمة، وأشار الى الاختلافات والتعليقات. مع الاستعانة بمصادر المؤلف الوثيقة ومؤلفات من نقل عنهم. وقد تولى ضبط الأعلام والأماكن والأنساب بالشكل أو العبارة، وعلق على النص دون توسع، واستفاد من حواشي ابن فهد على نسخته، كما عارض نصوص المؤلف التي نقلها عنه المتأخرون من بعده وأشار الى الاختلاف بين الأصل والنص المنقول عنه. واستمر فؤاد السيد في تحقيق الكتاب حتى أنهى الجزء السابع فانتقل الى رحمة الله وبقي الجزء الثامن والأخير، فعهد به الى تلميذه محمود الطناحي فحقق الجزء الثامن وهو كتاب «اسمه أسماء النساء والكنى» على النسق الذي كان يعمل عليه فؤاد السيد.

ان كتاب «العقد الثمين» أهم كتب التراجم التي عرفت بمشاهير قطان مكة المكرمة من

العلماء والأدباء والعظماء وغيرهم وهو موسوعة علمية كبرى تلقي الضوء على تاريخ الحياة الثقافية لهذا البلد الأمين . وهو من أحسن الكتب التي حققت وأنفقت عليها بلادنا وظهرت بالمظهر العلمي الحديث .

ومع ذلك فان هذا الكتاب الجليل على الرغم مما بذل فيه من جهد علمي متقن فان كنوزه لا تزال مغلقة أمام الباحث اذ أنه لم يزود بفهارس دقيقة تكشف مادته الغزيرة . فما أكثر الأعلام الذين ذكروا فيه من غير المترجمين ، وما أكثر الأماكن والمواضع والكتب والمؤلفات ، ولو الحق بفهارس تشملها جميعاً لجعل مهمة الباحث سهلة ممتعة بدلا من أن يضطر الى قراءته بأجزائه الثمانية حتى يحصل على ما يريده من معلومات .

أما تواريخ المدينة المنورة فقد مر بنا ما طبع منها في المطبعة المبرية في مكة . وفي العهد السعودي نشرت كثير من هذه التواريخ وأعيد نشر بعضها ، وأكثر طبعاتها طبعات تجارية لا نكاد نرى فيها التحقيق العلمي الحديث . ومن أبرز هذه الكتب التاريخية كتب السمهودي مؤرخ المدينة فقد تكرر طبعها . وقد طبع « وفاء الوفاء » طبعتين كان آخرها طبعة محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية في المدينة المنورة . وقد عهد بها الى محمد محي الدين عبد الحميد لتحقيقها وصدرت عن مطبعة السعادة سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٥ م) ، والحق الجزء الرابع منها بنبذة عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي . استقاها الناشر محمد سلطان النمنكاني من مدير مكتب مشروع التوسعة محمد صالح القزاز . وتحقيقات الشيخ عبد الحميد رحمه الله في غير بعض كتب النحو فيها نظر كبير ومن ذلك كتاب التاريخ هذا ... ومن الغني عن الذكر أن لا تكون هذه الطبعة قد صدرت عن أصل صحيح فأكثر تحقيقات محمد محي الدين عبد الحميد مأخوذة عن طبعات قديمة .. وقد بين خطته في مقدمة هذا الكتاب فقال : « قمت بضبط غرائبه ، وتفصيل عباراته بوضع علامات الترقيم المحدثة ووضع عناوين موجزة على هامش النسخة » ، وهذا منهج في التحقيق قاصر يعرفه كل من عانى تحقيق كتب التراث . وبذلك لم يخرج الكتاب في الواقع عن مجال النشر التجاري .

وفي تحدث حمد الجاسر عن طبعتي « وفاء الوفاء » واحداهما هذه الطبعة فقال : « وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء طبعتين كثيرتي الأخطاء غير محققتين مع وجود نسخ خطية منه جيدة » . وقال في موضع آخر :[٢]

« ولقد كان السمهودى رحمه الله خدم طيبة الطيبة بتاريخها وخدم كتاب الفيروز آبادى بما أضافه اليه ، الا أن مما يحزن حقا أن مطبوعتي « الوفاء » كثيرتا التحريف والتصحيف بدرجة سيئة جدا مما يحمل على القول بأنه لا يصح الاعتماد عليهما ، وقد رجعت الى نسخة من مخطوطات القرن العاشر من الكتاب فاستعنت بها »[٣]

والى جانب ذلك ذكر حمد الجاسر أن مطبوعة « وفاء الوفاء » قد وقع فيها اضطراب وخلل « وخاصة فيما نقله السمهودى من كلام الهجرى عن الأحماء »[٤]

وقد نشر أسعد طرابزوني جملة من تواريخ المدينة منها «عمدة الأخبار في مدينة المختار» لأحمد بن عبد الحميد العباسي «من رجال القرن العاشر الهجري» عن نسخة في مكتبة آل هاشم بالمدينة بخط ناسخه السيد جعفر هاشم ، وصحح الكتاب محمد الطيب الأنصاري . ويقول حمد الجاسر عن هذا الكتاب انه «لا يعدو أن يكون تلخيصا لكتاب» خلاصة الوفاء «وقد طبع طبعة كثيرة التحريف والأخطاء»[٥] .

كما نشر أسعد طرابزوني أجزاء من «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢) وهو من أهم كتب تاريخ المدينة ويبحث في تراجم علمائها وأعيانها . وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧ م عن مطبعة السنة المحمدية في القاهرة . وقام بتصحيحه محمد حامد الفقي ونشر على نفقة حسن الشربتلي . ويقول حمد الجاسر : «ان مما يؤسف الباحث أن كتاب التحفة لم يعرف منه حتى الآن نسخة كاملة وانما وصل الينا من نسخة ناقصة مع أن الكتاب كان معروفا الى عهد ليس بالبعيد فقد نقل عنه الموسوي في «نزهة الجليس» في ترجمة محمد بن الحنفية ونقل عنه غيره وهذه النسخة الناقصة كانت في المدينة كما يفهم من كتابات في طرتها حوت أسماء علماء مدنيين»[٦] .

وقد صدرت منه ثلاثة أجزاء كاملة اطلعنا عليها ويقول حمد الجاسر انه صدر من الجزء الرابع الى «عياش بن سليمان» وهي الترجمة الـ ٣٣٥٦ في ١٩٢ صفحة . ويعقب على ذلك بقوله : ويظهر أن الباقي من الكتاب يقارب الثلثين اذ أن أكثر التراجم هم المحمدون وليس في المخطوطة منهم سوى اليسير»[٧] .

وقد قدم الجزء الأول بمقدمة لمحمد حامد الفقي وصف فيها النسخة المخطوطة وقال : انها نسخة عادية مكتوبة بخط عادي ... وذكر أن تاريخ الفراغ من نسخها سنة ٩٥٢ هـ . والمخطوطة من مخطوطات استانبول وعنها فيلم مصور بمعهد المخطوطات ، ثم أعقب بقوله : «وبعد فهذا جهد المقل مع أني تعبت فيه ما لم أتعب في غيره مما حققت وصححت من قبل»[٨] ، ثم أتبعت هذه المقدمة بمقدمة أخرى للدكتور طه حسين تحدث فيها عن الكتاب ثم شكر للمحقق والناشر والمنفق على النشر . وعلى الرغم مما ذكره حامد الفقي رحمه الله من اجتهاده في تحقيقه فقد أشار حمد الجاسر الى أن «المطبوع من التحفة كثير الخطأ لأن المخطوطة سيئة الكتابة»[٩] .

ومن مطبوعات أسعد طرابزوني في تاريخ المدينة «كتاب التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة» للامام جمال الدين محمد بن احمد المطرى (ت ٦٩٠) ، وقد صدر سنة ١٣٧٢ هـ كتب على طرة الكتاب «قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيال» قاضي المستعجلة بالمدينة المنورة ، وفي مقدمة الكتاب نشر الناشر تقريظا للكتاب بقلم الشيخ الخيال ذكر فيه أنه اطلع على الكتاب ووجده من أحسن ما جمع في أخبار المدينة ، خصوصا وقد أشار الى تغيير شيء من البدع المحدثة ، و«بمطالعته يظهر أن البناء على القبور محدث بعد القرون المفضلة . وقد نبهنا على شيء من المواضع التي يلزم التبيين عليها

ولم نستوعب ذلك لكثرة الشواغل » . فليس في الكتاب تحقيق وانما نظر عابر واصلاح لبعض المواطن وتنبيه على عقيدة السلف في بعض الأمور . ومن التجاوز أن يسمى ذلك تحقيقا ، وغير ذلك لا نجد مقدمة في توثيق النسخة ولا حديثا عن الكتاب بل لا نجد موازنة بين ما قاله هذا المؤلف ولا حديثا عن مصادره ولا شيئاً مما يمكن أن يعزى الى التحقيق . وبالجملة فهي طبعة تحتاج الى اعادة طبع وتحقيق جيد . ويمكن أن يقال مثل ذلك بل أكثر من ذلك في نشر السيد أسعد الطرابزوني لكتاب « الأوائل » لأبي هلال العسكري وهي نشرة مشوهة كثيرة الهنات مغرقة في التوجيه المغلوط والقراءة الخاطئة . ويطول بنا الحديث كثيرا عن هذه الطبعة لو استقصينا هناتها .

ومن كتب تاريخ المدينة المحققة كتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » للعلامة زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي ، وقد نشره محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية وصححه وحققه محمد عبد الجواد الأصمعي ، وقد استوفت هذه الطبعة جميع شكليات التحقيق العلمي من حيث الحديث عن المخطوطات وابراز صورها ، ووضع الفهارس للاعلام والأمم والقبائل والبطون وأسماء البلاد والجبال والأودية والآبار والقوافي والموضوعات حتى استغرقت الفهارس خمسين صفحة من مجموع ٢٧٣ صفحة . وقد ألحق بالكتاب ملحق عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي الشريف بقلم الناشر .

وقد أشار حمد الجاسر في رسائل في تاريخ المدينة الى أن أبا بكر ابن الحسين بن عمر المراغي القاهري المدني (٧٢٧ — ٨١٦) لخص كتابي النجار والمطري وذيل عليهما بكتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » .
وقال : ان الكتاب طبع طبعة كثيرة الأخطاء[١٠] .

ونشر حمد الجاسر مجموعة من ست رسائل في تاريخ المدينة هي :

١ — وصف المدينة المنورة لعلي بن موسى عن مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ١٦٤٤/٣١٦٩٠ تاريخ .
٢ — التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة لمؤلفها الجلالي محمد بن خضر الرومي الحنفي (ت ٩٤٨ هـ) وهي مخطوطة دير الاسكوريال .
٣ — الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ، للامام نور الدين علي السمهودي (ت ٩١١ هـ) عن مخطوطتين احداهما في الاسكوريال ، ونسخة من مكتبة الحرم المكي عنوانها « ذروة الوفا بأخبار دار المصطفى ، رقم ١٢٢١ من كتب الشيخ عبد الستار الدهلوي . وقد اطلع عليها الناشر بعد الطبع ، وأجرى مقابلة بينها وبين ما لديه ووضع مستدركا للأخطاء » .
٤ — كائنة أمير المدينة ، مجهول ، ولا يستبعد الناشر أن يكون مدون الخبر هو السمهودي ، وهي رسالة ملحقة بنسخة الاسكوريال من مخطوطة « الوفا » بما يجب لحضرة المصطفى .
٥) أول بناء سور للمدينة ، نبذة لمجهول يرجح الناشر أن يكون مؤلفها هو مؤلف « التحفة اللطيفة » . وهي ضمن المجموع المحتوى على « الوفا » في الاسكوريال .
٦ — وضع الأهلة على القبة والمنائر (في الحرم المدني) . نبذة قصيرة متصلة بالرسالة السابقة .

ولا يستبعد الناشر أن تكون ملخصة من التحفة اللطيفة .

قدم المحقق لهذه الرسائل بمقدمة ضافية تحدث فيها عن كل رسالة على حدة ذاكرا مؤلفها ومخطوطاتها وقد خص السيد السمهودي بترجمة واسعة وتحدث عن كتاب «الوفاء» باسهاب . ثم أورد النصوص مشيرا الى بعض المواضع بتعليقات مختصرة ثم أتبعها جميعا بفهارس محتويات المقدمة ولكل رسالة على حدة ، وفهرس للأعلام وآخر للمواضع ، وثالث للجماعات ، ورابع للكتب .

أما تاريخ شرقي الجزيرة العربية ووسطها فأهم مصادره مصدران : تاريخ حسين بن غنام أو «كتاب روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام» وتاريخ الشيخ عثمان بن بشر المسمى «عنوان المجد في تاريخ نجد» . وعلى الرغم من أن هذين المصدرين هما أوسع المصادر في تاريخ نجد وخاصة في وصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتاريخ السعودية ، وعلى كثرة طبعاتهما فاننا لا نجد للأسف بين أيدينا طبعة محققة موثقة من هذين الكتابين ، وكل ما نراه هو طبعات تجارية أو شبيهات بالتجارية . ومن تلك الطبعات طبعة تاريخ ابن غنام التي صدرت بعنوان «تاريخ نجد» للشيخ الامام حسين بن غنام ، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد . وقد قام (المحرر أو المحقق) بكتابة تاريخ ابن غنام بأسلوب غير أسلوبه . وتصرف فيه ليجاري ذوق العصر وحتى لا يكون عسيرا على القارئين وطلاب العلم لأن أسلوبه يجافي أذواقهم وما ألفوه من أساليب الكتابة»[1] . وتعجب أن يقول هذا الكلام استاذ من أساتذة الجامعة الذين عرفوا بالتحقيق والتمحيص وأن يجيز لنفسه التغيير والتبديل في كتاب ليس من تأليفه وأن يحيل كتاب ابن غنام عن طريقته التقليدية البسيطة التي تعبر عن محصوله العلمي والثقافي وبيئته النجدية فيجرى فيه قلمه بتجريده من السجع والعبارات المتكررة والحشو ، وبعيد صياغة بعض جمله . وبغير تقسيم الكتاب» وبذلك يحيل الكتاب عن وضعه الأصلي الى كتاب آخر لابن غنام فيه الأرواح وليس الأشباح .

ومثل هذا العمل ليس تحقيقا وانما تغيير وتبديل وهو ليس تحريرا ولكنه تحريف واذا كان المراد من تحريره وتنقيحه وتغييره وتبديله هو مجاراة روح العصر فلماذا لا يؤلف كتابا جديدا يحوى المعلومات وينسب لمؤلفه لا للمؤلف القديم . ثم ان المكتبات ملأى بالكتب التي تتحدث عن تاريخ المملكة بأسلوب حديث فلماذا لا يكتفي بها بدلا من تغيير كتاب ابن غنام .

لقد نظرت في هذه الطبعة فلم أجد مبررا لوجودها ، اذ لو طبقنا هذه النظرة على كل كتب التراث لاحتجنا الى تغيير كتب كثيرة وتحريفها وتبديلها من أجل أن تساير روح العصر الذي نعيشها .

ان تاريخ ابن غنام لا يزال بحاجة الى خدمة جديدة تعتمد الأصول وتقارن بين الحوادث وتجعله متاحا للقارىء بالفهرسة العلمية المتقنة ، والشروح الوافية والتعليقات المفيدة .

أما كتاب ابن بشر فقد سبق أن ذكرنا أنه طبع مختصرا في العراق سنة ١٣٢٨ هـ ، وكانت أول طبعة تامة له هي طبعة مكة سنة ١٣٢٩هـ في المطبعة السلفية وهي طبعة من مجلدين

اشترك في نفقتها محمد حسين نصيف وصاحب المطبعة السلفية ، وليس في هذه الطبعة أي ذكر للأصول التي اعتمد عليها الناشرون ولا مقابلة عليها ، وفي مقدمتها صفحة بمعاني بعض الكلمات العامية النجدية ، وأخرى في ضبط أسماء بعض المدن الواردة في الكتاب وقد ضبطت باللغة الفصحى وليس بالعربية المعاصرة المحلية فبدت غريبة مفصحة . وطبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات آخرها فيما أعلم طبعة وزارة المعارف وهي طبعة عادية تمتاز بحذف سوابق الكتاب (أي حوادث السنين التي سبقت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) ووضعها مستقلة في آخر الكتاب ... وليس في الكتاب جهد تحقيقي علمي فهو أيضا لا زال بحاجة الى العناية به .

ومن تواريخ نجد المختصرة تاريخ حمد بن لعبون الوائلي ، وقد طبع في مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٧ هـ ، وقد أشار حمد الجاسر الى أن هذه الطبعة طبعة ناقصة .

ونشر حمد الجاسر بعض النصوص التاريخية الحديثة نسبيا منها : «نبذة تاريخية عن نجد» ، أملاها الأمير ضاري بن فهيد الرشيد (ت سنة ١٣٣١ هـ) وكتبها وديع البستاني ، والحق بها مقتطفات من رسالة «القول السديد في أخبار امارة آل رشيد» ، لسليمان بن صالح الدخيل (ت ١٣٦٤ هـ) وذلك سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

كما نشر كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان ق ٧٠٠ هـ الى ١٣٤٠ هـ ، تأليف ابراهيم بن صالح بن عيسى (ت ١٣٤٣ هـ) .

ومن الكتب المختصرة المحققة تحقيقا علميا في تاريخ نجد «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» وقد حققه عبد العزيز الخويطر وطبعه سنة ١٣٩٠ هـ في الرياض وهو تاريخ مختصر جدا .

لقد استعرضنا أهم كتب التاريخ التي طبعت في المملكة[١٢] ورأينا أن كثيرا منها قد صدرت عن طبعات عادية وبعضها رديئة محرفة غير محققة ولا مراجعة على نسخ خطية الى جانب أن الوصول الى المعلومات التي فيها عسير صعب بسبب افتقارها الى الفهارس العلمية الصحيحة ، ولا نكاد نستثني من هذه المطبوعات سوى تحقيق رشدي ملحس لكتاب الأزرقي وقليل من الكتب . أما الكتب الأخرى في أخبار مكة والمدينة وعلمائها والمقيمين فيها فان أكثرها طبع طبعات تحتاج الى جهود اضافية لجعلها تصل الى مرحلة التحقيق العلمي .

ان العناية بكتب التاريخ هذه وتحقيق أصولها وخدمتها خدمة علمية من مهات الجامعات السعودية التي تملك المقدرة العلمية والمال الكافي من أجل اخراج تراث المملكة وتاريخها على أسس علمية . واننا لنرجو أن يتاح لطلاب الدراسات العليا في الجامعات أن ينهضوا بتحقيق هذه النصوص المهمة من تواريخ الجزيرة العربية .

د . أحمد محمد الضبيب
استاذ بكلية الآداب — جامعة الرياض

(١) انظر للكاتب : «حركة احياء التراث قبل توحيد الجزيرة» . الدارة . ع ١ م ١ . ربيع الأول ١٣٩٥ هـ/ مارس ١٩٧٥ م ص ص ٤٤ — ٦٢ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب العقيدة والتشريع) . الدارة . ع ٤ م ٣ . صفر ١٣٩٨ هـ/ يناير ١٩٧٨ م ص ص ٨ — ٢١ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب التفسير) . الدارة . ع ٣ م ٤ . شوال ١٣٩٨ هـ/ سبتمبر ١٩٧٨ م صص ٨ — ١٤ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» . الدارة . العدد السابق لهذا العدد .

(٢) الفيروزآبادي . المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) . تحقيق حمد الجاسر . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٣٨٩ هـ ص . ك .

(٣) نفس المصدر ص . ق .

(٤) حمد الجاسر . رسائل من تاريخ المدينة . الرياض . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر . ١٣٩٢ هـ ص ٣٨ .

(٥) الفيروزآبادى . المغانم المطابة في معالم طابة . تحقيق حمد الجاسر . الرياض . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر . ١٣٨٩ هـ . ص . ك .

(٦) حمد الجاسر . رسائل في تاريخ المدينة . ص ٣٧ .

(٧) نفس الموضع .

(٨) مقدمة الكتاب .

(٩) رسائل في تاريخ المدينة . ص ٣٨ .

(١٠) حمد الجاسر . رسائل في تاريخ المدينة . ص ٤١ .

(١١) ص ٦ .

(١٢) لقد أوردنا جميع الكتاب في قسم «البيليوجرافيا» من هذه الدراسة .

حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة

كتب الجغرافية

"٧"

• د. أحمد بن محمد الضبيب •



لقد كانت محاولة ابن بليهد متسمة — كما قلنا — بالريادة التي طرقت سبيلاً وعراً يكتنفه الكثير من المصاعب غير أن هذا الطريق ما لبث أن تمهدت فيمابعد على يد عالم قضى عمره مُنقِّباً وباحثاً في جغرافية الجزيرة العربية هو حمد الجاسر الذي وضع بين أيدينا جملة من النصوص الجغرافية بعضها أصدره مستقلاً في كتب، وبعضها نشره مسلسلاً في مجلة «العرب».ولعل من أهم هذه النصوص ثلاثة كتب تراثية أولها : كتاب «بلاد العرب»، للحسن بن عبدالله الأصفهاني (ت حوالي ٣١٠هـ) وقد كان الدكتور صالح العلي يعمل في تحقيق هذا الكتاب فلما علم بعزم

الجاسر على نشره بعث إليه بمسوداته، فأثبت له الجاسر في الكتاب مقدمة تتعلق بنسبة الكتاب إلى الأصمعي وإلى نهج التأليف فيه ولم يضع التعليقات لأنها كانت، كما يقول، تتفق مع ما عمله. إلى جانب أنه أراد أن يكون مسؤولاً وحده عن هوامش الكتاب.

نشر النص على النُسخ الخطية الآتية :

١ ــ نسخة أبي البركات نعمان خير الدين بن أبي الثناء محمود شهاب الدين الألوسي نُسخت بخطه سنة ١٢٩٩هـ وهي من مقتنيات مكتبة الأوقاف العامة ببغداد.

٢ ــ نسخة السيد محمود شكري الألوسي، تاريخ نسخها ١١ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٩هـ بخطه وهي من محتويات مكتبة عباس العزاوي.

٣ ــ نسخة السيد حسن الأنكرلي، تاريخ نسخها ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٠٥هـ وهي من مقتنيات مكتبة الأوقاف العامة في بغداد. ولم تُستخدم في المقابلة.

٤ ــ نسخة نجدية من كتب الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى (ت ١٣٤٣هـ) انتهى نسخها في ١٠ شعبان سنة ١٣٠٣هـ.

٥ ــ نسخة سليمان الدخيل، وتاريخ نسخها سنة ١٣٣٦هـ.

ولقد كان اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه من المشكلات التي صادفت تحقيق الكتاب.

أما من حيث الاسم فإن النسخ الخطية، كما يذكر حمد الجاسر، تصمت عنه أو تضطرب فيه. «فنسخة السيد نعمان لم تذكر له اسماً، ونسخة السيد محمود تضعه هكذا: رسالة في بيان أماكن الحجاز ومياهها وغير ذلك للغدة الأصفهاني .. ونسخة الأنكرلي لا تذكر له اسماً، أما النسخة النجدية فقد ذكر في طرتها بخط ناسخها : (أسماء الجبال والمياه والمعادن التي في بلاد نجد وغيرها من جزيرة العرب) وفي نسخة مكتبة الآثار (المتحف العراقي) وضع الاسم (بلاد العرب) ويظهر أن واضعه هو السيد سليمان الدخيل وبهذا سمَّاه الدكتور محمد أسعد طلس في الكشاف عن مخطوطات مكتبة الأوقاف»[(١)].

ويرى الدكتور صالح العلي أن اسمه «جزيرة العرب للأصمعي» كما جاء في بحثه المنشور في مقدمة الكتاب[(٢)].

أما حمد الجاسر فيميل إلى أن الكتاب جزء من كتاب «النوادر» للغدة الأصفهاني

ذلك أن المتقدمين لم يذكروا في مؤلفات لغدة كتاباً باسم هذا الكتاب أو في موضوعه.

أما عن مؤلف الكتاب فقد رأى رشدي الصالح ملحس أنه الأصمعي[٣] وكذلك رأى صالح العلي، معتمداً على أن كافة النصوص التي نقلها ياقوت عن كتاب «جزيرة العرب» للأصمعي موجودة في مخطوطة العالم العراقي نعمان بن شهاب الدين الألوسي، التي نسبت في أولها إلى «لغدة الأصفهاني»، كما يؤيد اعتقاده: «إن مادة المخطوط منظمة على أساس العشائر ومواطنها وهي تطابق إشارات ياقوت إلاّ أن كتاب الأصمعي مرتب تبعاً للعشائر وذِكْر مالها من مياه وأماكن»[٤] ويلاحظ صالح العلي أن كتاب ياقوت قد تضمن نصوصاً منسوبة إلى الأصمعي ولكنها لم ترد في الكتاب ولكنه يرى أن «عدم وجود هذه النصوص في مخطوطتنا لا يصح أن يتخذ دليلاً على أن الكتاب ليس للأصمعي، فإن هذه النصوص قليلة إذا قورنت بالنصوص التي نقلها ياقوت عن الأصمعي وهي في صلب المخطوطة»[٥].

أما حمد الجاسر فيرى أن الكتاب صحيح النسبة إلى «لغدة» معتمداً على أن لغدة «عالم من أجِلّة علماء اللغة والأدب في القرن الثالث الهجري»، وليس أعرابياً كما جاء في بحث صالح العلي[٥]، ويدرس الكتاب دراسة داخلية نقدية يخرج منها بالآتي:

١ — الكتاب يحتوي على نصوص منسوبة إلى رواة متأخرين عن عهد الأصمعي، ومنها ماليس له ذكر في معجم ياقوت، وهي من الكثرة بحيث تحمل على القول «بأنه لو كان في كتاب جزيرة العرب للأصمعي لما فات ياقوت ذكره»[٦]، ففي الكتاب نقول عن ابن الأعرابي «وهو من معاصري الأصمعي وجرى بينهما ما يجري بين المتعاصرين من خلاف. ولذا فمن المستبعد أن ينقل عنه الأصمعي إذ هو أعلم منه»[٧] وفيه نقول عن عمارة بن عقيل وهو متأخر عن الأصمعي فقد أدرك أيام الواثق الذي ولي الخلافة فيما بين ٢٢٧هـ و ٢٣٢هـ والذين يروون عنه هم تلاميذ الأصمعي. وفي الكتاب شعر لناهض بن ثومة الكلابي وهو متأخر عن زمن الأصمعي. فقد روى عنه الرياشي (ت ٢٥٧هـ) وهو من تلاميذ الأصمعي.

٢ — في الكتاب هجاء لباهلة التي ينتسب إليها الأصمعي وليس من المعقول أن يورد الأصمعي رجزاً في هجاء قبيلته.

٣ ــ كثير من المواضع وردت في الكتاب ولا نجد لها ذكراً لدى ياقوت.

٤ ــ إن نسبة ياقوت لكثير من النصوص إلى الأصمعي في معجم البلدان قائمة على أن كتاب الأصمعي عن «جزيرة العرب» أو «مياه العرب» وصل إليه برواية ابن دريد عن عبدالرحمن بن أحمد الأصمعي عن عمه الأصمعي. ومع ذلك فعند الرجوع إلى ابن دريد لا نجد في «الجمهرة» كثيراً من أسماء المواضع التي هي على درجة من الغرابة تستدعي ذكرها في كُتب اللغة، وفيه أسماء أعلام غريبة تدخل في نطاق كتاب «الاشتقاق» ولكن ابن دريد لم يذكرها فيه فكيف يكون هذا وقد روى الكتاب وعرفه ؟.

٥ ــ هناك نصوص كثيرة من نصوص هذا الكتاب في كتاب «الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار» لأبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الأسكندري الذي توجد نسخته المخطوطة في المتحف البريطاني، وقد نقل عن الأصمعي في مواضع من كتابه ولكنه لم ينسب مافي هذا الكتاب إلى الأصمعي.

٦ ــ أن الزمخشري نقل في كتابه «الجبال والأمكنة والمياه» معلومات كثيرة عن هذا الكتاب ولم ينسب شيئاً منها إلى الأصمعي مع نسبته أقوالاً غيرها له.

ويخلص حمد الجاسر إلى أن المعلومات التي تضمنها الكتاب قد أثرت عن رواة من الأعراب معاصرين للأصمعي وممن جاءوا بعدهم، ومنهم من روى عنه الأصمعي وقد يكون في بعض كتبه من معلوماتهم ماهو في هذا الكتاب فجاء عالم متأخر عن عصر الأصمعي وجمع تلك المعلومات وأضاف إليها، وقد يكون هو لغدة «على أساس أن النُسخ التي بين يدينا تنص على ذلك نصاً لا يمكننا تجاوزه مالم نجد دليلاً قوياً يحملنا على التجاوز»[٨].

غير أن المعضلة الأخيرة التي تنتاب نسبة الكتاب إلى مؤلفه هو أن مؤلفات «لغدة» التي ذكرها مترجموه لا تدل على أن له كتاباً من هذا النوع أو في هذا الموضوع.

وهذا ماجعل حمد الجاسر يرى أن الكتاب جزء من كتاب أكبر منه هو «النوادر» المنسوب للغدة الأصفهاني. هذا مع احترازه بأن المتقدمين كثيراً ما يفوتهم ذكر جميع مؤلفات من يترجمونه[٩].



لقد مر بنا أن رشدي الصالح ملحس كان ينوي إخراج الكتاب وأنه قد أعدَّه للنشر. ولكن نسخته ضاعت بعد وفاته، وبعد ذلك فكَّر صالح العلي في نشر الكتاب وأعدَّ العدة لنشره ثم لما علم بعزم حمد الجاسر على نشره أرسل إليه بمسوداته «وكانت تشمل نسخة مخطوطة الألوسي ومطابقة نصوصها مع ما نقله ياقوت عنها، ومجموعة من النصوص التي أوردها ياقوت نقلاً عن الأصمعي وهي غير موجودة في المخطوطة. هذا بالإضافة إلى إعداد بعض الفهارس، ودراسة محتوى الكتاب ومقارنتها بالدراسات القديمة عن جزيرة العرب»، وقد قام حمد الجاسر بنشر الدراسة التي كتبها صالح العلي، أما مقارنته محتوى المخطوط مع ما نقله ياقوت فلم يضمنه الكتاب معللاً ذلك بأنه مع أنه يطابق كثيراً ما عمله إلا أنه رأى أن يبقى على ما وضعه في الهوامش لأنها أوسع وأشمل ولكي يكون وحده المتحمل لمسؤوليتها، وقد أوضح أن اعترافه بالجهد الذي بذله صالح العلي جعله يضع اسمه على الغلاف مشاركاً في تحقيق الكتاب. ولكن الغلاف أيضاً يشير إلى أن المجمع العلمي العراقي قد ساعد على طباعة الكتاب، فهل كان تدعيمه من المجمع بسبب اشتغال صالح العلي به ؟.

لقد بيَّن حمد الجاسر أنه قابل النسخ ماعدا نسخة الأنكرلي، فوجد الاختلافات يسيره قد تكون من أثر الناسخ، كما قابل أسماء المواضع على ماورد منها في كتاب الأسكندري ما استطاع ذلك، لأن مقابلة أسماء كتاب لغدة بما بكتاب الأسكندري المخطوط «تستلزم جهداً كبيراً إذ أنه يذكر الاسم بعيداً عن مظان ذكره فيحتاج المرء إلى قراءة الكتاب جميعه»(١٠).

كما قابله على ماجاء في كتاب الزمخشري «الأمكنة والجبال والمياه» فعثر على كثير منها وفاته الكثير بسبب الاضطراب في ترتيب كتاب الزمخشري.

ورجع إلى كتاب «معجم البلدان» فقابل جميع ماورد فيه من نصوص على الكتاب وميَّز بين ما نسبه ياقوت إلى الأصمعي مما ذكره ياقوت غير منسوب إليه. كما رجع إلى كتب أخرى وضع بها ثبتاً في نهاية الكتاب.

وأردف الكتاب بعشرة فهارس شملت : مباحث الكتاب العامة وأسماء المواضع،



والمعادن، والجماعات، والشعراء، والأبيات الشعرية، والنبات، والأيام المذكورة في الكتاب، والكلمات اللغوية إلى جانب أسماء المراجع (الكتب الواردة في الحواشي) واستدراكات.

لقد حظي الكتاب «بلاد العرب» الذي أخرجه الجاسر بجملة من التعليقات والنقد مما يدل على أن البيئة العلمية استقبلته استقبالاً حسناً. فقد كتب حسين سرحان في مجلة العرب مقالاً متوسطاً علَّق فيه على بعض المواضع المذكورة في الكتاب من واقع رحلاته في الجزيرة، ومن واقع معرفته بالشعر النبطي[١١].

ويشبه ما كتبه حسين سرحان مقال حمد بن محمد العبيدي بعنوان: «إيضاح وتعليق على كتاب بلاد العرب»[١٢]. فقد كتب تعليقاً على مواضع مذكورة في الكتاب بيَّن أماكن وجودها وما جاورها من أعلام. حسب معرفته بذلك.

وكتب عبدالله بن محمد بن خميس مقالاً في مجلة «العرب» نَقَدَ فيه الكتاب[١٣]، وذهب إلى الانتصار إلى الرأي القائل بنسبة الكتاب إلى الأصمعي معتمداً على حاسته الخاصة لا البحث بقوله: «ولست بهذه العجالة في مجال تكوين رأي، مبني على البحث والتحقيق، أرجّح فيه قولاً على آخر .. ولكنني بالملكة والذوق أرى أن مؤلف هذا الكتاب هو عربي قح، تقلَّب في البادية وأشربت لغتها بلحمه ودمه، وصدر في تعابيره وأوصافه عن طبع أصيل الخ[١٤] ..» ثم أورد مجموعة من الألفاظ «لا تصدر إلا عن عربية متمكنة أصيلة[١٥]» ومع ذلك فقد وجد الكتاب مع تمكنه من اللغة فإنه «ليس بالمنزلة التي تتواءم وعلمه من حيث الدقة في تحديد الوصف، ومن حيث نظامه في البحث[١٦]».

ثم تكلم على ماجاء في بعض حواشي الكتاب أو صلبه، فخطأ بعض هذه الحواشي ورأى تعديل بعضها. وأشار إلى مواضع مازالت موجودة إلى الآن وحدد مواقعها.

وقد علَّق حمد الجاسر على ما كتبه ابن خميس[١٧]، فوافقه في بعض ما قال، وذكر مصدره في بعض الآراء وذيَّل تعليقه بضرورة تعاون العارفين والمحققين في تصحيح ما فيه من معلومات.

ونشرت العرب أيضاً في الجزء نفسه مقالاً كتبه عبدالعزيز جادو في مجلة الأديب



البيروتية (سبتمبر سنة ١٩٦٨م) وهو في معظمه تقريظ للمحققين وإشادة بالكتاب، وأنهى التعليق بتصحيح بعض الأخطاء في كتابة بعض الأسماء بالانجليزية.

والكتاب الثاني الذي نشره حمد الجاسر من كتب الجغرافية، الكتاب المنسوب لأبي إسحاق إبراهيم الحربي (ت ٢٨٥هـ) وعنوانه : «المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة» على نسخة وحيدة في المكتبة الرضوية بمدينة مشهد في إيران رقمها ٥٧٥١ كتبت في أوائل القرن السادس الهجري تقريباً.

وهذا الكتاب أيضاً لم تثبت نسبته إلى مؤلفه ولكن المحقق يستنتج ذلك استنتاجاً من نص مطوّل في تحديد جزيرة العرب نقله البكري في كتابه «معجم ما استعجم» وهو أبو عبيدالله عمرو بن بشر السكوني. كما نقل البكري نصوصاً منه لم ينسبها إلى أحد. ونسبت بعض النقول إلى سكوني آخر عند ياقوت كما نسبت عند السمهودي مؤرخ المدينة في كتاب «وفاء الوفا» وهو أبو عبدالله محمد بن أحمد الأسدي من رجال القرن الثالث الهجري.

ويضيف المحقق إلى ذلك مما يؤيد رأيه في نسبة الكتاب إلى الحربي مايأتي :

١ ــ أن الزمن الذي أُلِّف فيه الكتاب هو زمن الحربي كما يتضح من الرواة الكثيرين الذين ترجم لهم فيما تقدم.

٢ ــ كثيرون من هؤلاء الرواة هم مشايخ الحربي نفسه.

٣ ــ أن المنسك الموجود يدل دلالة تكاد تكون قاطعة على أنه من تأليف الحربي أو عالم من علماء الحديث. وقد ألف الحربي «المناسك» وهو من أشهر كتبه.

٤ ــ أن أسلوب الكتاب هو أسلوب الحربي في «غريب الحديث» وخاصة عند الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم إذ يكتفي بجملة صلى الله عليه وسلم أو استعمال صيغة «زعم» لما لا يرتضيه من الأخبار(١٨).

كما أشار المحقق إلى أن على حسين محفوظ قد حاول نسبة الكتاب إلى «ابن الكوفي». كما نسبه محمد حسن آل ياسين إلى «الأسدي». متأثراً بقول السمهودي، ولكن الجاسر يرى «أن الكتاب بعيد البعد كله عن أن يكون لابن الكوفي في الزمن وفي الأسلوب» أما عن الأسدي «فالسمهودي ليس حجة، وليس مانقله من نصوص تتفق مع ما في الكتاب



كافياً لكي ينسب إلى هذا الرجل المجهول أو المتأخر الزمن[19]».

لقد سبق أن كتب المحقق عن الكتاب بالتفصيل في مجلة العرب[20] وفي تلك السلسلة من المقالات بحث موضوع نسبة الكتاب إلى مؤلفه بقدر أوفى من كتابته في مقدمة الكتاب المحقق، ففي الكتاب يذكر المحقق أسماء الرواة والمؤلفين بحسب ألقابهم «الأسدي»، «السكوني»، «ابن الكوفي»، «السمهودي» وغير ذلك بينما نجده في بحثه المنشور في المجلة يذكر أسماءهم كاملة فيعطي الباحث المتطلع إلى الزيادة تفصيلات يحتاجها في بحثه.

وإذا تركنا الخلاف بين ما يراه المحقق من نسبة الكتاب إلى أبي إسحاق الحربي وما يراه غيره من الباحثين. نجد أن المحقق قد صدَّر الكتاب بمقدمة تكاد تكون كتاباً قائماً بذاته (ص ص ٩ – ٢٥٦) تحدَّث فيها عن منشأ الحربي ومشائخه وآرائه في بعض العلماء والمحدثين والإخباريين، وظُرف الحربي، ومشائخه من الإخباريين والأدباء، ومشاهد في الرواية، وموقعه بين علماء اللغة ومشايخه في اللغة وطريقته فيها ثم تحدَّث عن زهده وجوانب أخرى من حياته، ثم مؤلفاته وتلاميذه ووفاته.

وكانت له نظرات جيدة في بعض موضوعاته وبعضها رد فيه على بعض المعاصرين مثل دفاعه عن الإمام الحربي لما وصفه به بعض الكُتّاب من «التزَمُّت» فأفرد لذلك فصلاً طريفاً عن ظُرفه وحبه للشعر ورواية بعض الأخبار والنوادر[21].

أما طريقته في تحقيق الكتاب فقد أجملها بالآتي الذي نذكره بتصرف شديد :[22].

١ ــ تقويم الأصل بالرجوع إلى المصادر والإشارة إليها.

٢ ــ إضافة تعليقات موجزة لبيان بعض الأمكنة والمواضع وبعض الأعلام.

٣ ــ إيراد جميع النصوص التي نسبها السمهودي إلى «الأسدي»، مما قد لا يوجد في المخطوطة والإشارة إلى الموجود مع ذكر الخلاف في العبارات إن وجد.

٤ ــ الإشارة إلى ما نقله البكري منسوباً إلى السكوني أو غير منسوب، مما وجد له أصلاً في الكتاب. وكذا ما ذكره ياقوت الحموي.

٥ ــ تقويم عبارة الكتاب عند التحقق من تحريفها مع الإشارة إلى ذلك في الهامش إلاّ في الكلمات التي تحتمل أكثر من وجه كأسماء الأعلام فقد أبقاها مشيراً

إلى مايراه صواباً في الهامش.

٦ ــ إبقاء بعض الأسماء المهملة، كما وردت والاكتفاء بوضع علامة استفهام بعد ذكرها.

٧ ــ لم يذكر في الهامش ما وقع في المخطوطة من تحريف مشيراً إلى أن هذا لا يفيد القارىء.

٨ ــ وضع مربعين حول الكلمات والعناوين التي لم ترد في الأصل.

والمتتبع لتحقيق الكتاب يجد أن المحقق قد وفَّى بمعظم هذه الأسس التي وضعها في مقدمته. مع ملاحظة مايأتي :

١ ــ إن ما أشار إليه من وضع تعليقات موجزة لبيان بعض الأمكنة والمواضع وبعض الأعلام. لم يلتزم فيه بصفة الإيجاز وإنما أسهب في بعض تعليقاته إسهاباً يجعلها تدخل في باب الاستطراد، ففي ترجمة عمر بن فرج الرخجي (ص ٢٨٦ – ٢٨٧) نجد ترجمة تقرب من صفحة، وكذلك في ترجمة زبيدة (ص ص ٢٨٨ – ٢٨٩) فقد تعدت المادة التي ذكرها من الإيجاز إلى سرد بعض الأخبار المتعلقة بنشأتها وسيرتها، وعقلها وحلمها، وغير ذلك. وكذلك عند الحديث عن «فيد» (ص ص ٣٠٦ – ٣٠٧) إذ نجد استطراداً طويلاً عن اختلاف المؤلفين في تحديدها وأكثرها منقولة عن المصادر بنصها. ومن ذلك التعليق على بيتين للخنساء ذكرت بها بعض المواضع إذ نجد النقل من ديوان الخنساء يأخذ مايقارب صفحتين. وهذا كله يخرج عن حد الإيجاز الذي شرطه المحقق على نفسه سابقاً والمطلوب في مثل هذه المواضع.

٢ ــ في المخطوط صور لموضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه منها أربع مرسومة في الأصل واثنتان أو أكثر بيَّض لها الناسخ فراغاً. وكان بالامكان رسم الصور الأربع بدلاً من تصوير صفحة الورقة التي تحتويها تلك الصور. أما الإشارة في الهامش إلى قول المؤلف «وقال ابن أبي سويد، صوَّره لي عمرو بن عثمان على هذه الصورة» (ص ٣٧٦) فيقول المحقق، ترك الناسخ الصور وكان قد خلى لبعضها بياضاً في الورقة لتصويرها» فغير صحيح. إذ أن الناسخ في هذا الموضع قد رسم ثلاث صور هي الموجودة على (ص ٣٨٠)

كما يتضح من المصورة. وبيَّض لصور أخرى هي المشار إليها في (ص ٣٨١). وكان بالامكان رسم الصور الموجودة في متن الكتاب.

٣ ــ لم يبين لنا المحقق ما إذا كان قد أدرج ما أخذه عن البكري والسمهودي في متن النص، أم أنه أفرده في الهامش. ومن تعقُّبي لبعض النصوص رأيت أنه أفردها في الهامش وهذا مما يحمد له.

٤ ــ شغل المحقق نفسه في دراسة حياة المؤلف، ومحاولة إثبات نسبة الكتاب له. ولكنه لم يبذل جهداً في دراسة الكتاب، من حيث مادته ومصادره ومن حيث ترتيبه وأسلوب المؤلف فيه، ومن حيث لغته، وموقعه بين كتب البلدان. ومكانة الحربي في مجال الجغرافية.

٥ ــ وضع المحقق بعض الرموز للمصادر التي قابلها على الكتاب مثل «س» للسمهودي، و «صف» لصفة جزيرة العرب «للهمداني» و «يا» لياقوت، ووضع «بك» لأبي عبيد البكري ولكنه فيما يبدو لم يلتزم بهذا الرمز الأخير بل نجده كثيراً ما يشير إلى البكري برمز (ب) إلا إذا كان يريد كتاباً آخر لم يذكر له رمزاً.

ومهما يكن من أمر فإن عمل الجاسر في تحقيق هذا الكتاب يعد عملاً على جانب من الإتقان أتبعه بفهارس متعددة جعلت مادته على طرف الثمام فإلى جانب فهرس الموضوعات العامة نجد فهارس للأماكن والأعلام، والقبائل والجماعات، والشعر، والرجز، والكتب ثم إضافات وتصحيح ومما يلاحظ على هذه الطبعة اختلاف في ترقيم الصفحات وهو أمر أشير إليه في نهاية الكتاب.

أما الكتاب الثالث الذي أصدره حمد الجاسر في عام واحد مع كتاب «المناسك» فهو كتاب مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي صاحب «القاموس المحيط» (ت ٨١٧هـ)(٢٣) بعنوان: «المغانم المطابة في معالم طابة» وقد نشر منه قسماً واحداً هو قسم المواضع، وهو يمثل الباب الخامس من الكتاب كما وضعه مؤلفه، ويعد ــ كما يقول المحقق ــ أطول أبواب الكتاب. ولعله أهم قسم فيه (انظر ص : ع و ف). وقد بيَّن سبب اقتصاره على ذلك القسم بقوله : «لقد كان الأولى أن يطبع الكتاب كاملاً،



غير أن ما في الباب الأول منه من مصادمة لرأي محققي العلماء كالإمام تقي الدين بن تيمية وغيره، مما لا تتسع له صدور كثير من القراء إلا بعد التعليق على الأحاديث التي وردت فيه، وبيان ما في بعض آراء مؤلفه من خطأ، وهذا ما حملني على أن أدع هذا لأحد العلماء، ومن ثم يجرى طبعه[٢٤].

نشر هذا الكتاب اعتماداً على مخطوطة وحيدة تضمها خزانة شيخ الإسلام «فيض الله أفندي» في استانبول رقمها ٢١٥٢٩، كُتِبَتْ عام ٨٦٦هـ في مكة المكرمة على يد ناسخها أحمد بن محمد أبي الخير بن فهد الهاشمي.

قدم المحقق للكتاب بمقدمة متوسطة تحدَّث فيها عن تواريخ المدينة وعن مؤلف الكتاب مجد الدين الفيروز أبادي، ثم تحدَّث عن الكتاب مشيراً إلى مصادر الفيروز أبادي وقد ذكر فيه أن المؤلف جمَّاع أكثر منه محققاً (ص : س)؛ ومع ذلك يشير إلى أنه يحاول أن ينقد فيصحح قولاً للزمخشري؛ كما يصحح بعض أغلاط ياقوت الحموي في «معجم البلدان». وهذا في حد ذاته يتعارض مع القول بأن المؤلف كان جمَّاعاً أكثر منه محققاً.

وتحدث المحقق عن عمله في الكتاب، فأجمله بأنه حاول إبراز نص صحيح مطابق لما وضعه المؤلف، كما حاول تصحيح كثير من الأسماء التي تحتاج إلى تصحيح، راجعاً إلى مصدر المؤلف من «معجم البلدان»، وأضاف ما لا يتم الكلام إلا به داخل مربعين، كما رجع إلى «وفاء الوفا» للسمهودي الذي استدرك على المؤلف وزاد، ثم اتبع الكتاب بفهارس شملت المواضع، والشعوب والقبائل، والأعلام، والشعر، والكتب، وفهرس الموضوعات العامة، إلى جانب ما ذيَّل به الكتاب من تصحيح واستدراك.

وتجدر الإشارة إلى ملاحظات نشرت في العرب بعنوان : «أغلاط في كتاب» «المغانم المطابة في معالم طابة» بقلم كاتب مجهول رمز إلى نفسه بالحروف (م.ح.ج)[٢٥] ملخصها كالآتي :

١ ــ أن خطأً حدث في تاريخ وفاة المؤلف الفيروز أبادي في صفحة العنوان، فقد جاءت سنة ٨٢٣هـ وكذلك في المقدمة (ص : س) فقد جاءت في ٢٠ شوال سنة ٨١٠ في مدينة زبيد محيلا إلى العقد الثمين (ج ٢ص ٤٠٠) وبالرجوع إلى هذا الكتاب وجد الناقد أن النص فيه يخالف ما ذكر في المقدمة أو في



صفحة العنوان فهو ١٠ شوال سنة ٨١٧هـ.

٢ ــ في الكتاب ص ١٧٠ نص مضطرب يتحدث عن زُرَيْد كمربد من أعمال المدينة ينسب إليها أبو عبدالله الزريدي ولم يستطع المحقق توجيهها فأشار الناقد إلى أن المادة موجودة في تاج العروس وهي (زرند) والزرندي هو جد أسرة منهم مؤلف كتاب «تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب» وقد نقل في كتابه ذلك النص عن المغانم المطابة.

٣ ــ ألحق المحقق في الحواشي ما ذكره السمهودي أو ياقوت قبله، وهناك مواضع أوردها الفيروز أبادي وفاته ذكر مواضع أوردها أو أحدهما.

٤ ــ تعليقات المحقق ليست كافية ومنها ما يجزم به وهو محل نظر فأولى به أن يقول ولعله هو الموضع الفلاني .. الخ.

ليست الكتب الثلاثة السابقة كل الجهود التي بذلها حمد الجاسر في سبيل نشر كتب الجغرافية المتعلقة بجزيرة العرب وتحقيقها. والناظر في مجلة «العرب» التي أصدرها الجاسر في رجب ١٣٨٦هـ تشرين أول ١٩٦٦م وما زالت تصدر حتى كتابة هذه السطور يجد أن الجاسر قد جعل من صفحاتها على مدى أكثر من عشرين عاماً سجلاً متتابعاً للمواد التراثية المتعلقة بجغرافية الجزيرة العربية بما نشره فيها من نصوص محققة أو وصف للمخطوطات أو بحوث حول بعض المواضع أو تعليقات على المؤلفات من قبله ــ وهي الأكثر ــ أو من قبل المشاركين من الكتاب.

ومنذ أعداد السنة الأولى «للعرب» نجد حمد الجاسر يبدأ بنشر النصوص الجغرافية، يجمع المتناثر منها أحياناً من مصادر مختلفة، أو ينتزع بعضها من كتب مخطوطة أو مطبوعة، وأول ما نشره في المجلة نصوص من كتاب (مناهل اليمامة) لمحمد بن إدريس ابن أبي حفصة، الذي لم يستطع تحديد تاريخ حياته أو وفاته. والنصوص التي نشرها تتكون من مجموعة الإشارات إلى كتاب الحفصي في كتاب ياقوت (معجم البلدان) مع الإشارة إلى بعض ما ورد عنده في «المشترك وضعاً»، وقد أضاف إليها الجاسر ما يمكن أن يكون ذا صلة بالحفصي، أو ما يظن أنه من كتابه ولم يشر إليه ياقوت. ويكاد لا يتعدى جهد الناشر جمع المواد وترتيبها على حروف المعجم وضبطها بالشكل أحياناً والإشارة في مواضع قليلة إلى مظان النصوص.



• الهوامـش •

(*) انظر للكاتب، «حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة»، الدارة، ع١، مج٢، ربيع الأول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م ص ٤٤ - ٦٢ و «حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب العقيدة والتشريع) الدارة، ع٤، مج٣ صفر سنة ١٣٩٨هـ/يناير ١٩٧٨م ص ٨ - ٢١ و «حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب التفسير والحديث) الدارة، ع٣، مج٤، شوال ١٣٩٨هـ/سبتمبر ١٩٧٨م وكتب التاريخ (١)، الدارة ع٤، مج٥ رجب ١٤٠٠هـ يونيه ١٩٨٠م ص ٢١ - ٢٨ و «حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب التاريخ (٢)) الدارة ع٣، مج٥ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ، مارس ١٩٨٠م ص ٩ - ١٦ .

(١) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، بلاد العرب، مقدمة الناشر ص٧١.

(٢) صالح العلي، جزيرة العرب للأصعمي، مقدمة كتاب الأصفهاني : بلاد العرب ص١٠.

(٣) الأصفهاني، بلاد العرب ص٦٢، وانظر صورة خطاب منه إلى حمد الجاسر ص٦٤، وفيه يشير إلى أن الكتاب للأصعمي.

(٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ص٢٥.

(٥) المصدر السابق، ص٢٦.

(٦) المصدر نفسه، ص٤٣.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٧.

(٨) المصدر نفسه، ص٣٧.

(٩) المصدر السابق، ص٤١ بتلخيص.

(١٠) المصدر السابق، ص٤٦ و ٤٧.

(١١) المصدر نفسه، ص٦٩.

(١٢) سرحان، حسين، بلاد العرب، تأليف الحسن بن عبدالله الأصفهاني، العرب مج٣، ج٢، ص ص ١١٠٦ - ١١١٢.

(١٣) العرب مج٥، ج٤ شوال ١٣٩٠هـ/ديسمبر ١٩٧٠م ص ص ٣٨٠ - ٣٨٣.

(١٤) بلاد العرب بين كاتبين، العرب مج٣ ج٢ شعبان ١٣٨٨هـ/نوفمبر ١٩٦٨م ص ص ١٦٩ - ١٧٢.

(١٥) المصدر السابق، ص١٧٠.

(١٦) الموضع نفسه.

(١٧) الموضع نفسه.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٧٥ - ١٧٧.

(١٩) الحربي، أبو إسحاق إبراهيم، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ص ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢١) مج٣ ج٢ شعبان ١٣٨٨هـ/نوفمبر ١٩٦٨م ومج٣ ج٣ رمضان ١٣٨٨هـ/ديسمبر ١٩٦٨م.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ص ١٠٣ - ١١٤.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢٤) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، المغانم المطابة في معالم طابة، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص : ف من المقدمة.

(٢٥) العرب مج٥ ج٥، ذو القعدة ١٣٩٠هـ/يناير سنة ١٩٧١م ص ٤٩٣ - ٤٩٤.



حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة

كتب التاريخ

بقلم الدكتور:
أحمد محمد الضبيب

كان المفروض نشر هذه الحلقه في العدد السابق وتشكلها بالحلقه السابق نشرها بالعدد الثالث (السنه الخامسه) ، وهذا الخطأ نتيجة لطبع عددين في وقت واحد . فنعتذر للقارىء الكريم عن هذا الخطأ . كما هو الاعتذار لأستاذنا الدكتور أحمد الضبيب .

تأتي كتب التاريخ في الدرجة الثانية من حيث الكثرة العددية فيما بعث من تراث بواسطة ابناء الجزيرة العربية وذلك بعد الكتب الدينية التي تحدثنا عنها آنفاً . ومنذ العهد العثماني نجد الاهتمام يبرز بنشر كتب التاريخ وخاصة تلك المتعلقة بتاريخ الحرمين الشريفين وقد سبق ان أشرنا الى صدور « خلاصة الوفاء » للسمهودي عن المطبعة الميرية في مكة سنة ١٣١٦ هـ وكذلك عزم المطبعة العلمية في المدينة المنورة سنة ١٣٢٨ هـ على طبع كتاب « ذروة الوفاء فيما يجب لحضرة المصطفى » . وقد طبع بعض مؤرخي الحرمين مطبوعاتهم التاريخية في مكة ككتاب « الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية » لأحمد دحلان ، فقد طبع في المطبعة الميرية سنة ١٣٠٢ هـ ، وككتاب نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين للسيد جعفر البرزنجي ، طبع في الميرية سنة ١٣٠٣ هـ ، وككتاب أحمد بن محمد الحضراوى (ت ١٣٢٧ هـ) : « العقد الثمين في فضائل البلد الأمين » .

غير أن بعض المؤلفين قد نشروا كثيرا من مؤلفاتهم في مصر ككتب أحمد زيني دحلان التاريخية الاخرى مثل « السيرة النبوية والآثار المحمدية » طبع في بولاق ١٢٩٢ و « خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام » المطبعة الخيرية — مصر ١٣٠٥ و « تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية » المطبعة البهية — القاهرة ١٣٠٦ . وطبع كتاب « نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين » للسيد جعفر اسماعيل البرزنجي (طبعة اخرى) في مصر سنة ١٣٢٢ هـ .

كما نشرت بعض كتب التراث في مصر ككتاب « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » لمؤرخ مكة قطب الدين النهروالي بمصر سنة ١٣٠٥ في المطبعة الخيرية على ذمة ملتزمه الشيخ أبي بكر

خوقير الكتبي بمكة بباب السلام والمدرس والامام بالمسجد الحرام. وذلك على هامش كتاب: «خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام».

أما عن تواريخ نجد فقد نشر تاريخ ابن غنام المسمى «روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام» لأول مرة طبعة حجرية بمدينة بومباي سنة ١٩١٩/١٣٣٨ هـ. كما نشر تاريخ ابن بشر المسمى «عنوان المجد في تاريخ نجد» في بغداد سنة ١٣٢٨ هـ في مجلد واحد وهي طبعة مختصرة عن الأصل.

وبعد توحيد الجزيرة نهضت العناية بكتب التاريخ نهضة ملحوظة ووجدنا عددا من الطبعات المحققة العلمية التي امتازت بها بعض النصوص التاريخية.... ومن أهم هذه الطبعات طبعة كتاب «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي التي أخرجها رشدي الصالح ملحس وطبعت بالمطبعة الماجدية في مكة في جزئين، صدر الأول منها عام ١٣٥٢ هـ والثاني عام ١٣٥٧ هـ.

وقد احتوت هذه الطبعة على كل ما يطمح اليه الباحث الحديث في مجال التحقيق العلمي من التمييز بين الروايات والعرض على النسخ المختلفة والترجمة لبعض الأعلام والتعريف ببعض الاماكن، والتعليقات والشروح، ثم اتباع الكتاب بفهارس مبتكرة للآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وأسماء الأنبياء، وخدمة بيت الله الحرام، والأيام التاريخية، والاصنام، والأعلام من الرجال والنساء، والأقوام والقبائل وأعلام الأماكن والقوافي والمحتويات.

وقد قدم رشدي ملحس للكتاب بمقدمة من ثماني عشرة صفحة تحدث فيها عن التدوين في الإسلام، وخطط مكة، وأقدم المؤلفات في تاريخها، وترجمة المؤلف، وروايات المؤرخين عنه، ثم تحدث عن الكتاب، وعن رواته ومختصراته، وعن الطبعة الجديدة التي يقدم لها: وما يميزها عن طبعة وستنفلد الأوروبية فقال:

«وقد تصفحنا الطبعة الأوروبية مرارا حين دراستنا لخطط الأزرقي فألفيناها مشحونة بالتحريف مملوءة بالتصحيف، ونحن مع احترامنا للناشر الفاضل لعنايته بطبع العشرات من الكتب العربية فلا يسعنا الا اظهار الأسف لاقتصاره في الطبع على بعض النسخ الخطية منها دون أن يحمل نفسه مشاق مراجعة المصادر الأخرى، لتصحيح هذا التشويه وذاك التحريف. وقد كان هذا التحريف والتشويه في مقدمة العوامل التي حملتنا على طبع نسخة الطبعة الأوروبية أما بحيث كنا نجعلها الأساس في التصحيح وتبويب الأبحاث والفصول الى غير ذلك من المسائل» (ص.ل).

ولقد اعتمد رشدي ملحس في اخراج هذا الكتاب على ثلاث نسخ:

أ ــ الطبعة الأوروبية التي اتخذها اساسا.

ب ــ نسخة اخرى من مخطوطات المكتبة المحمودية (قسم رقم ٥٣).

ج ــ نسخة اخرى من مخطوطات المكتبة المحمودية بالمدينة (تاريخ رقم ٥٣).

د ــ نسخة خطية ثالثة في مكتبة عبد الستار الدهلوي من علماء مكة المكرمة نسخها بقلمه

عن النسخة الخطية في دار الكتب المصرية .

وقد وصف المحقق هذه النسخ الخطية وصفا دقيقا .

وتحدث عن منهجه في التصحيح فقال : « وكنا نرجع الى النسخ الخطية الثلاث لتصحيح المتن في الطبعة الأوروبية ، وقد كانت هذه الأصول كثيرة التحريف والتشويه ، لذلك كنا نرجع المسائل التي لا نطمئن الى صحتها الى مصادر اخرى تدوينية وتاريخية وبوجه خاص خطط مكة المكرمة فجاءت طبعتنا الجديدة كما يراها القارىء خلوة من التحريف الا ما ندر » (ص . ف) .

ولم يكتف المحقق بذلك بل أضاف الى الكتاب ابحاثا مهمة منها بحث عن بناية الكعبة الاخيرة ، وآخر عن تاريخ كسوتها ، وبحث ثالث عن ذى الخلصة .

ان تحقيق رشدي ملحس لكتاب الأزرقي يعد عملا رائدا في تاريخ نشر التراث في بلادنا وهو ركيزة أولى من ركائز التحقيق العلمي الحديث الذي كنا ولا زلنا نطمح اليه ، وقد كان رشدي ملحس من أوائل الذين لفتوا الانظار الى كثير من الموضوعات العلمية والتاريخية [٢] ، ولو نشرت كل كتبه الخطية لوجدنا انه سبق الى دراسات في التاريخ والجغرافيا جديدة لم تكن بلادنا تعرفها قبله مثل كتاب « معجم منازل الوحي » ، وقد نشر فصولا منه في المنهل [٣] ، وكتاب « منازل المعلقات »الذي حقق فيه ما يقرب من ١٥٠ منزلا من المنازل المذكورة في المعلقات العشر [٤] ، الى جانب كتابه الذي نشر في مكة سنة ١٣٤٩ هـ بعنوان « معجم البلدان الغربية » ، وله مقالات عديدة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية [٥] .

لقد نشرت كثير من الكتب القديمة التي تبحث في تاريخ الحرمين الشريفين بعد كتاب ملحس ، ففي عام ١٣٦٩ هـ اصدر أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي كتاب « الاعلام بأعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام » للعلامة عبد الكريم محمد الدين القطبي المتوفى سنة ١٠١٤ ، وهو اختصار لكتاب عمه العلامة قطب الدين ابن علاء الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٨٩ أو ٩٩٠ ، والمسمى : « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » ، وقد نشره المحققان عن مخطوطة أصلها موجود في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة نسخها عبد الوهاب الدهلوي ، وأضافا الى ذلك قطعة من نسخة أخرى عند الشيخ الدهلوي ، وقد قابلا هذه النسخة على نسختين من المطول احداهما طبعت في مصر والاخرى طبعة وستنفلد في اوروبا ، فأكملا ما وجداه من نقص أخل به صاحب المختصر من الكتاب المطول . كما انهما شرحا معاني بعض الكلمات وأشارا الى ما يجري على السنة العامة في مكة من ألفاظ المؤلف ، كما حاولا البحث عن أصولها وتتبعا بعض الألفاظ الأجنبية وشرحاها .

وبالجملة فقد بذلا جهدا طيبا في التصحيح والتعليق ثم أعقبا الكتاب باعتذار الى القارىء يشيران فيه الى انهما كانا يريدان أن يصلحا عبارة المؤلف الركيكة وأغلاطه النحوية واللغوية وتقريب اسلوبه الى الأسلوب الحديث ولكنهما منعا من ذلك ، منعتهما لجنة نشر الكتب العربية التي يصدر الكتاب ضمن نشراتها حفاظا على الأمانة العلمية . ولعل من حسن حظ الكتاب انهما لم يفعلا ما كانا عازمين عليه ، اذن لفقدنا النص التاريخي الصحيح الذي

يحكي ثقافة المؤلف وعصره ولغته وهي مسألة من أهم المسائل التي يجب ان يحرص عليها المحقق التبث ، اذ ان النص وثيقة تاريخية تمثل عصرها الذي أنشئت فيه ولا يجوز تغييرها .
ويؤخذ عليهما انهما لم يلحقا الكتاب بفهارس تعين الباحث وتجعل مواضيع الكتاب ومواصفه وأسماءه منه على طرف الثمام . كما انهما غيرا اسم الكتاب الى اسم جديد قدعياه « تاريخ البلد الحرام » وكأنهما استثقلا اسم المؤلف المسجوع المزخرف فغيراه الى اسم كبير براق . والعنوان الذي اختاره المحققان لا ينطبق في الحقيقة على ما في الكتاب اذ هو يختص في معظمه ببناء المسجد الحرام لا بالبلد الحرام مكة ، كما ان من المبالغة ان يدعي هذا المختصر تاريخاً للبلد الحرام الى جانب أن عنوان الكتاب من حق المؤلف وليس من حق غيره التصرف فيه .

وقد طبع كتاب القطبي (الأصل) المسمى « كتاب الاعلام لأعلام بيت الله الحرام » طبعه ثانية على نفقة المكتبة العلمية بمكة ، وقدم له محمد أمين كتبي المدرس بالمسجد الحرام ، كما شرحه وعلق عليه ووضع صوره محمد طاهر الكردي الخطاط وذلك سنة ١٣٧٠ هـ وطبع في مصر بمطبعة السعادة .. وهذه الطبعة الى جانب انها طبعة رديئة للكتاب فقد امتازت بنمط جديد في التحقيق والتعليق لم تعهده الكتب العربية المحققة ، تلك هي ادخال الصور في صلب الكتاب . وهي طبعة أرادت أن تجمع بين الناحية العلمية بالتعليق والناحية الشعبية بوجود الصور الفوتوغرافية والرسوم التي تضفي على العمل تشويقاً لدى العامة ، ففقدت الصبغة العلمية .

وقدم محمد أمين كتبي للكتاب فذكر أنه نشر من أجل أن يسد حاجة الحجاج الذين يسألون المطوفين وغيرهم من المدرسين وخدمة المسجد الحرام عن بعض الموضوعات . ولذلك فان نشره يساعد على اجابة هذه الاسئلة ، وتطرق بعد ذلك الى شرح فكرة الناشر وتنفيذ هذه الفكرة فقال :

« ولما رأى حضرة الفاضل الشيخ عبد الفتاح قدا صاحب المكتبة العلمية بمكة المكرمة بباب السلام شدة الرغبة والحاح الحاج الى كتاب يسد هذا الفراغ ويغذي هذه الرغبة ، وقع اختياره على كتاب « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » تاريخ مكة المشرفة ... فجرد العزم لطبعه ثانية بعد أن نفذت (كذا) الطبعة الأولى ، ورغبة في أن تكون الطبعة الثانية تمتاز ببعض الزيادات النافعة من تعاليق مفيدة توضح ما تجدد بعد عصر المؤلف في المسجد الحرام والكعبة المشرفة ، ومن رسوم للكعبة المطهرة ، والحجر ، والمطاف والحجر الأسود ، والمنبر ، وبئر زمزم ، وباب بني شيبة ، وغير ذلك مما يزيد الانسان شوقاً الى بيت ربه وحرمه ، فأسند القيام بهذه المهمة لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد طاهر الكردي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة ، لما عهد فيه من نشاط في البحث ، ودقة في التصوير ، وسلامة في الذوق ، واستقامة في الطبع ، فشرحه وعلق عليه وحلاه بالرسوم الجميلة النافعة ، كما أسند الى كتابة هذه المقدمة لايضاح الفكرة التي دعته لاعادة طبع هذا الكتاب »(٦)

ثم نقل ترجمة المؤلف من البدر الطالع للشوكاني ، وبعد ذلك حليت الصفحة العاشرة بصورة للشارح « محمد طاهر كردي » ، كاتب مصحف مكة والمعلق على هذا الكتاب ،

أخذت له سنة ١٣٦٨ هـ .

ولقد امتازت التعليقات على الصور بضرب من العفوية التي تنافي التحقيق العلمي ، كما في التعليق الموضوع على صفحة ٣٧ عند حديث المؤلف الأصلي عن الحجر الأسود ، فقد كتب المعلق ما نصه : « انظر الى صورة الحجر الأسود في عصرنا الحاضر وترى صورة محمد طاهر الكردي الخطاط الذي كتب تعليقا على هذا الكتاب ظاهرة فيها ، وهو يهم بتقبيل الحجر الأسود في طوافه وقد وضع يده على ما يحيط به من الفضة » . وعندما تحدث المؤلف عن زمزم وضع المعلق على ذلك تعليقا وصورة استغرقت نصف الصفحة وقال : « انظر باب بئر زمزم وترى في الصورة محمد طاهر الكردي الخطاط وقد وقف على باب البئر » (ص ٤١) .

وقد يشير المعلق في اثناء تعليقاته على الصور الى كتاب له عن مقام ابراهيم عليه السلام كقوله عندما تحدث المؤلف عن الحجر ، فقد وضع المعلق صورة لأرض الحجر وعلق عليها بقوله : « انظر حجر اسماعيل عليه السلام وتجد أرضه مفروشا (كذا) بالرخام الجميل الزخرف ، وترى في الصورة على اليمين محمد طاهر الكردي الخطاط جالسا تحت ميزاب الكعبة المشرفة مشيرا بأصبعه الى الحجر الأخضر الذي تكلم عنه في كتاب مقام ابراهيم عليه السلام بصحيفة ١٤٩ » .

ويقول في ص ٧٧ عند الحديث عن مقام ابراهيم عليه السلام : « حدود المسجد الحرام قديما وحديثا ، والزيادات فيه وموضع المقام الكريم ، وغيرها من الأمور المهمة ذكرناها بتفصيل في كتاب مقام ابراهيم عليه السلام ، فليرجع اليه من شاء وهوكتاب مطبوع بمصر القاهرة ، مطبعةمصطفى‌البابي الحلبي ، وهوكتاب مهم للغاية ، بل هو أول كتاب وضع عن تاريخ المقام » .

ويضيف الحديث عن مثل هذه التعليقات الغريبة التي تشوه العمل بدل أن تزيده بهاء وجلاء على أن المعلق الفاضل قد حاول تصحيح بعض أوهام المؤلف (ص ١٣٦) ، وفي بعض الأحيان كان يصحح الكتاب من نفسه فيشير الى أن « في هذه العبارة غلطا والصحيح كما تقدم ... ص ٧ ... (٣٥٢) .

ثم أتبع الكتاب بأرجوزة له في أشهر بنايات الكعبة ووضع صورة مبتكرة لهذه الزيادات أثبتها في آخر الكتاب وحلاها بصورته ..

لقد قدمنا الحديث عن نشر مؤلفات القطبي لأنها نشرت مبكرة فسبقت مؤلفات رجل من أشهر المؤلفين بل مؤرخ مكة بحق ، ذلك هو الامام العلامة الحافظ تقي الدين محمد بن

أحمد الفاسي المكي (ت ٨٣٢ هـ) وقد نشرله كتابان الأول : « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » سنة ١٩٥٦ م (١٣٧٦ هـ) ، والثاني « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » سنة ١٣٧٩ هـ ، وكلاهما نشرا على نفقة محمد سرور الصبان . والكتاب الأول « شفاء الغرام » صدر في جزئين كبيرين محققا ومعلقا عليه ، وتولت التحقيق والتعليق لجنة لا نعرف من أفرادها أحدا ولا نعلم لماذا لم يفصح عن اسماء اعضائها مع أن هذه اللجنة قد استعانت

بأساتذة سعوديين وغيرهم ذكرتهم في المقدمة وشكرت صنيعهم ، فممن شكرته اللجنة من السعوديين سليمان الصنيع مدير مكتبة الحرم المكي لمعاونته في بعض التعليقات على رجال الحديث ، ومحمد نصيف على اعارته مخطوطته القيمة « افادة الأنام بأخبار البلد الحرام للشيخ الغازي » ، ومن غير السعوديين فؤاد السيد والشاعر أحمد رامي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، كما حلى الكتاب بأربع خرائط قام برسمها السيد جلال الجرويلي بجريدة الأهرام .

والافصاح عن شخصية المحقق من أهم الأمور التي تجعل الانسان يطمئن الى سلامة التحقيق أو عدمه ، وهذه السنة في تحقيق النصوص تغمط المحقق حقه من ناحية ، وتغمط العمل من ناحية اخرى . غير أننا نلاحظ ان الكتاب على وجه العموم قد صدربحلة قشيبة وطباعة أنيقة وقد حاول المحققون ان يخرجوه اخراجا حديثا فاعتمدوا على نسخة دار الكتب المصرية برقم ٧٤٨٤ عمومية و ٥٠٤ ورمزوا اليها بالحرف « ك » ، كما اعتمدوا على نسخة منقولة عن نسخة دار الكتب المصرية نسخها عبد الستار الدهلوي في جزئين كبيرين . كما حاولوا التصحيح على مصادر اخرى ككتاب « افادة الأنام بأخبار البلد الحرام » للغازي ، و « منتخب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » ، ط . اوروبا سنة ١٨٨٠ م [٧] .

وقد اعتذروا عن تأخر نشر الكتاب في آخر المقدمة بحرصهم على أن تخرج هذه الطبعة اخراجا متقنا خاصة وان النسختين الخطيتين اللتين اعتمدوا عليهما خطهما ردىء وتشملان على تصحيف كثير ونقص وأبيات شعرية محرفة [٨] .

ولقد تهيأ لهذه الطبعة أن تخرج اخراجا جيدا وبذل فيها جهد ليس بضئيل وكنا نظن ان أعضاء اللجنة من خارج البلاد ولكننا من التدقيق في التعليقات والشروح نجد ان فيها اشارات تدل على ان المحققين كانوا من ابناء الوطن . ففي التعليقات تحديد لبعض الأماكن التي يذكرها الفاسي تصعب على غير المواطن ، كما نجد اشارة الى اللغة المحكية في مكة ، والأسماء المحرفة عن اسماء قديمة مثل بركة ماجل (ماجد) [٩] ، ونجد في بعض التعليقات امنيات لا تصدر الا من مواطن غيور مثل ان تشكل لجنة من أهل الخبرة والعلم لوضع حدود الحرم ، وتحقيقها علميا ، وذكر تاريخها ، وطبعها وتوزيعها ، وأخيرا أمنية خاصة بالآثار والمشاعر .

ولعل من محاسن المحققين انهم لم يتدخلوا بالاصلاح للغة المؤلف وانما تركوها على حالها ونبهوا على ذلك في الهامش [١٠] . ومع تدقيق المحققين الا انهم وقفوا مكتوفي الأيدي أمام أبيات من الشعر نثرها الناسخ فنبهوا على ذلك وحاولوا اعادتها الى طبيعتها الأصلية ولكنهم لم يفلحوا في ذلك وفاتهم أن في البيتين سقطا لم يكتشفوه حتى يمكن ترتيب ما بقي من هذين البيتين ، والبيتان هما :

يروق لي منظر البيت العتيق اذا
بـــــــــــــدا ....

كـأن حـلـيـتـهـا السوداء قد نسجت
من حبة القلب أو من أسود المقل

وقد ألحق الجزء الأول بفهارس للموضوعات ثم بمجموعة الصور (١٦ صورة) لبعض الأماكن الأثرية في المسجد الحرام ومكة والمشاعر وبعض المنشآت كميناء جدة البحري والمطار.

أما الجزء الثاني فقد أعقب بأربعة ملحقات أولها ولاة مكة بعد الفاسي ملخص من كتاب المؤرخ ابن ظهيرة القرشي المكي (ت ٩٥٠) ، المعروف بـ «الجامع اللطيف في أخبار مكة المشرفة والبيت الشريف» [١١] ، بالاضافة الى ما بعده حتى العصر السعودي ، وكان الملحق بقلم عبد الستار الدهلوي الى عهد الشريف حسين ، ثم أكملته اللجنة الى العصر السعودي حيث عين الأمير فيصل نائبا للملك في الحجاز . والثاني كتاب «الدرة الثمينة في تاريخ المدينة» للمؤرخ الحافظ الشيخ محمد بن محمود بن النجار (ت ٦٤٧ هـ) مقدما بمقدمة من اللجنة .

والملحق الثالث : يختص بالعمارة التي أدخلت على المسجد النبوي الشريف منذ انشائه حتى وقت صدور الكتاب . والرابع ببعض آثار المدينة ومزاراتها . ثم كلمة الختام وجدول التصويب .

ولم يف المحققون بوعدهم الذي ذكروه في مقدمة الكتاب من عزمهم على وضع فهارس شاملة للاعلام والمواضع في النهاية ، واكتفوا بفهرس الموضوعات .

(١) انظر للكاتب : حركة احياء التراث قبل توحيد الجزيرة ، الدارة ، ع ١ م ١ ، ربيع الأول ١٣٩٥ هـ/مارس ١٩٧٥ م ص ٤٤ — ٦٢ ، و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب العقيدة والتشريع) الدارة ، ع ٤ م ٣ ، صفر ١٣٩٨ م/يناير ١٩٧٨ م صص ٨ — ٢١ ، و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب التفسير) ، الدارة ، وع ٣ م ٤ ،شوال ١٣٩٨ هـ/سبتمبر ١٩٧٨ هـ م صص ٨ — ١٤ .

(٢) انظر منصور الحازمي ، «معجم المصادر الصحفية ص ٤١» .

(٣) انظر عبد القدوس الأنصاري ، «رشدي الصالح ملحس» ، المنهل ، م ٦ ج ٤ ، ربيع الثاني ١٩٦٥ هـ/١٩٤٩ م ص١٧٥ ، وتأبينه له في المنهل ، م ١٩ ج ٧ ، رجب ١٩٧٨ هـ/يناير — فبراير ١٩٥٩ م ص ٢٩٤ .

(٤) عبد القدوس الأنصاري ، «رشدي الصالح ملحس» ، الموضع السابق .

(٥) انظر على سبيل المثال : سلسلة مقالاته بعنوان «مؤرخو الحجاز ونجد» أم القرى ، ع ٤٥٣ وع ٤٥٤ (١٣٥٢ هـ/١٩٣٣ م) .

(٦) المقدمة ص ٥ — ٦

(٧) المقدمة ص و .

(٨) المقدمة ١/ص ز .

(٩) ص ط .

(١٠) انظر على سبيل المثال ص ١١٥ و ٦٥٢ .

(١١) طبع هذا الكتاب الصغير طبعة تجارية سنة ١٣٤٠ هـ في مصر في مطبعة عيسى البابي الحلبي ولم يشر فيه الى المخطوط الذي اعتمد عليه وانما طبع بنفقة مكتبة تجارية في مكة . وهذه الطبعة ليس فيها ميزة الا احتواؤها على فهارس في آخر الكتاب ولكنها غير مستوفة لكل ما في الكتاب من الأعلام والأماكن .

حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة

بقلم : الدكتور احمد محمد الضبيب

تحدثنا فيما سبق (١) عن أن المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود كان يوالي طبع كتب السلف في مصر قبيل بلوغه الى مكة ، حتى ان بعض هذه الكتب التي طبعت في مطبعة المنار على نفقته صدر بعض أجزائها قبل توحيد الجزيرة وبعضها بعد التوحيد ، ككتابي « المغني » و « الشرح الكبيـر » ، وكتابـي « تفسير بن كثير » و « البغوي » .

وعندما بلغ الملك عبد العزيز مكـة في ٨ جمادي الاولى سنة ١٣٤٣ هـ عرفت مكة طباعة كتب العقيدة السلفية وبعض الكتب الامهات ، ولعل أول ما طبع في عهد الملك عبد العزيز « **مجموعة التوحيد** » التي صدرت فـي شوال سنـة ١٣٤٣ هـ باسم **الكتاب المفيد في معرفة حـق الله علـى العبيد المسمى بمجموعة التوحيد** » وقد صدر الكتاب يوسف ياسين بمقدمة تحدث فيها عن محتويات المجموعة وانها تشتمل علـى رسائل للشيـخ محمد بن عبد الوهاب ورسائل لبعض ابنائه ورسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية الحراني ، ثم تحدث عن النسخ التي اعتمد عليها في الطبع وطريقة التصحيح واعتذر عن اخراج الكتاب ورداءة الورق قائلا : « **لأنه لم يتيسر لنـا ونحن في أم القرى والأيام أيام حرب وكفاح أجود مـن هذا الورق ولا أحسن** » (٢) ، كـما وعد بطبعة أخرى صحيحة جيدة الطبع حسنة الورق .

ولقد أخذت مطبعة أم القرى ، التي خلفت المطبعة الميرية ، في طباعة التراث منذ ذلك الحين وتهيأ لها بعد أن تطورت في العهد السعودي أن تخرج كتبا ضخمة وأن يتطور اخراجها للكتب بشكل ملحوظ ، وبعد أن كانت هذه المطبعة في أواخـر العهد العثماني تطبع علـى ورق أصفر وتضع بين دفتي المجلد عدة كتب بعضها في الهامش وبعضها أسفل الصفحة استقل الكتاب بنفسه في هذا العهد ، ولم يعد محاطا بالهوامش من جوانبه الثلاثة كما كان يحدث في معظـم مطبوعات المطبعـة الميرية . كـما تطورت الحروف فطبعت الكتب بحروف واضحة مختلفة في حجمها عن تلك التي كانت عليه في العهد السابق . ولسنا بسبيل الحديث عن جهود الحكومة السعودية في تطوير مطبعة أم القرى وترقيتها فهي مسطورة في أكثر الكتب والبحوث التي تناولت تاريخ الطباعة والصحافة في بلادنا . وانما ذكرنا ذلك لنتبين أن نهضة قد بدأت في مجال نشر الكتاب تشمل الشكل والمحتوى في وقت واحد .

لقد أصدرت مطبعة أم القرى في عام ١٣٥٢ هـ مجموعة من أكبر مجموعات الدعوة الاصلاحية وأضخمها هي مجموعة « الدرر السنية في الاجوبة النجدية » ·

ومن كتب التراث المهمة التي أصدرتها هذه المطبعة كتاب « الزهد » للامام أحمد بن حنبل الشيباني سنة ١٣٥٧هـ قام بتصحيحه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وصدر بمقدمة تحدث فيها عن قيمة الكتاب ومنزلة الامام وساعده في تصحيحه الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة المدرس بالحرم الشريف ودار الحديث فقد راجع كتب الحديث والرجال وأضاف بعض الهوامش · كما طبعت أم القرى بعض المتون « كالاجرومية » ، وقد شرحها عبد الرحمن بن قاسم وكذلك « الرحبية » في الفرائض ·

والى جانب مطبعة أم القرى أسهمت في طبع كتب التراث مطبعة أخرى أنشئت عام ١٣٤٧ هـ هي المطبعة السلفية لأصحابها عبد الفتاح قتلان ومحمد صالح نصيف وشركائهما وهي فرع للمطبعة السلفية في مصر وقد كانت المطبعة السلفية المصرية تطبع بعض كتب التراث للملك عبد العزيز رحمه الله ومن مطبوعاتها كتاب « روضة الناظر وجنة المناظر » في أصول الفقه على مذهب الامام أحمد وقد طبع سنة ١٣٤٢ هـ ·

هذه المطبعة الاهلية وان كان ما وصلنا من مطبوعاتها قليل نسبيا الا انها أنشئت فيما يظهر لتواجه حركة النشر الجديدة التي شجعها الملك عبد العزيز ورفدها بقدر ما يستطيع ويذكر عبد الفتاح قتلان في مقدمته لفهرست هذه المطبعة الذي صدر عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) « ان المطبعة السلفية قد عزمت بحول الله وقوته على بذل ما في الطاقة لتحقيق أماني جلالة الملك المعظم بنشر المعارف الاسلامية وطبع الكتب التي ألفها أئمة السلف الصالح وعلماء الأمة في بيان الدين الخالص » ويذكر محمد سعيد عبد المقصود في مقاله عن الطباعة في الحجاز ان الحكومة السعودية عندما سمحت بانشاء شعبة للمطبعة السلفية في مكة أعفت عموم أدواتها وآلاتها ومكائنها من الرسوم الجمركية كما أعفتها من التأمين المالي الذي يقضي به القانون تشجيعا لفن الطباعة وترقية له (٣) · كما يذكر أن الحكومة وافقت في ١٣٥١/٦/٢٧ هـ على قرار مجلس الشورى رقم ٦٦٢ وتاريخ ١٣/١١/ ١٣٥٠ هـ باعفاء ورق الطباعة العائد للكتب الدينية من الرسوم الجمركية ·

لقد طبعت السلفية المكية مجموعة من كتب التراث نذكر منها ما يأتي :

ـ الرسالة التبوكية لابن تيمية سنة ١٣٤٧ هـ .

ـ شرح حديث أبي الدرداء فيمن سلك طريقا يلتمس فيه علما لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي سنة ١٣٤٧ هـ .

ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ـ الأصل لابن قيم الجوزية والمختصر للشيخ حمد بن الموصلي جزءان .

ـ كتاب السنة للامام عبدالله بن أحمد بن حنبل سنة ١٣٤٩ هـ .

ـ زاد المستقنع في اختصار المقنع لشرف الدين أبي النجا موسى بن أحمد الحجاوي سنة ١٣٤٨ هـ .

ـ عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر سنة ١٣٤٩ هـ .

ـ أدلة معتقد أبي حنيفة الامام في أبوي الرسول عليه السلام لملا علي القـاري .

ـ مهمات الأوراد والأذكار منقول من الكلم الطيب لابن تيمية والاذكار للنووي والحصن الحصين للجزري ومختصر الثلاثة الاصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ـ كتاب المسوى من أحاديث الموطا ، جزءان .

وقد استمرت المطبعة الماجدية في مكـة تطبع الكتب ومنها كتب التراث ولعل من أهم وأعظم ما أصدرته هذه المطبعة كتاب « أخبار مكـة » للأزرقي بتحقيق جديد لرشدي الصالـح ملحس في مجلدين صدر الاول عام ١٣٥٢ هـ

والثاني سنة ١٣٥٧ هـ . (وسنتحدث عنه بالتفصيل عند الكـلام على احياء كتب التاريخ) .

وفي عهد الملـك عبد العزيز وبعده تشعبت مراكز الطباعـة وازدادت الكتب التي نشرت زيادة هائلة ودارت مطابع الشام ومصر والحجاز والرياض تدفع بكتب التراث ، وتعددت أوجه النشر فهنالك نشر حكومي ونشر فردي ونشر تجاري وأصبح حصر هذه الكتب مستحيلا ولكننا سنقف وقفات قصارا

أمام الفروع التي كثرت فيها هذه التآليف ، نتعرف علـى أهم ما صدر منها دون النظر الى الأسبقية التاريخية وسنقصر الحديث في هذه المقالة على احياء كتب العقيدة والتشريع · آملين أن نتابع البحث في المستقبل عن حركة احياء التراث في الفروع الاخرى ·

١ ـ كتب العقيدة والتشريع ··

مما لا شك فيه أن أكثر مجالات نشر التراث في المملكة العربية السعودية ازدهارا هو مجال الكتب الدينية بأنواعها المختلفة وأكثر هذه الانواع نشرا هي كتب العقيدة والتشريع ·

ويمكن تصنيف هذه الكتب الى أربعة أصناف :

أ ـ كتـب المجموعات ·
ب ـ الكتـب المفـردة ·
جـ ـ كتـب الشروح ·
د ـ كتـب الـردود ·

أ ـ كتـب المجموعات :

وهذه في الغالب مجموعات لرسائل أو مسائل مختلفة ، في العقيدة والفقه لعالم واحد أو لمجموعة من العلماء ومن أهم هذه المجموعات ما يأتي :

١ ـ **مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية** ، جمعها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه اللـه وجاءت في ٣٥ مجلدا ، بدىء في طبعهـا سنـة ١٣٨٠ هـ ، وانتهى الطبع عام ١٣٨٦ هـ على مطابع الرياض وقدرت تكاليف الطبع والاعداد بأكثر مـن مليون ريـال ثم أتبعت بفهرس للموضوعات ·

جمعت الفتاوى مـن عدة مصادر في نجد والحجاز والشام ومصر والعراق وأوربا ونقل كثير منها عن مخطوطات محفوظة في مكتبات هذه البلدان وبذل فيها جهد كبير ·· وهي طبعة لا نشك في توثيقها ولكنها

تفتقر الى الاسلوب الحديث في الاخراج وهي على كل حال تمثل مرحلة من مراحل العمل في هذا المشروع الضخم وكان ابن المحقق الفاضل قد لاحظ ذلك فاعتذر الى القراء لضيق الظروف · ولعل كثيرا من نواقص هذا العمل تستكمل اذا ما اتبع فيه الاسلوب الحديث في التحقيق فرمز الى مخطوطاته وخرجت آياته وأحاديثه وأتبع بفهارس تحليلية حديثة متنوعة وهي على كل حال معلم بارز في عصرنا الحاضر يدل على ما يتمتع به علماؤنا من جلد وصبر ومعاناة في سبيل اخراج التراث ·

٢ ــ **مجموعة التوحيد** وقد طبعت أول الأمر في الهند ثم طبعت في مكة المكرمة سنة ١٣٤٣ هـ ثم في مطبعة المنار وأعيد طبعها أخيرا ·

٣ ــ **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** وقد ضمت مجموعة كبيرة من فتاوى شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ورسائله ورسائل أبنائه وأحفاده وبعض علماء نجد كجده الشيخ سليمان بن علي ووالده الشيخ عبد الوهاب وبعض مشائخ نجد الآخرين كمحمد بن ناصر بن معمر وعبدالله بن عبد الرحمن ابي بطين والشيخ سعيد بن حجي وغيرهم وقد صدر الجزء الأول منها سنة ١٣٤٦ هـ ·

٤ ــ **مجموعة الدرر السنية في الأجوبة النجدية** ، وهي كسابقها تضم فتاوى ومسائل لعلماء نجد منذ عهد الامام محمد بن عبد الوهاب وتشمل كثيرا من أبواب الفقه والعقيدة والتشريع صدر الجزء الاول منها في مكة سنة ١٣٥٢ هـ·

٥ ــ **مجموعة الحديث النجدية** : وقد اشتملت على تسع رسائل منها ست للشيخ محمد بن عبد الوهاب وواحدة للامام أحمد بن حنبل وثنتان لابن القيم طبعت عدة مرات منها طبعة بالمنار سنة ١٣٤٢ هـ·

ب ــ الكتب المفردة :

وهذه كثيرة وأهمها كتب شيخ الاسلام ابن تيمية فقد نشرت معظم كتبه مطبوعة حديثا وبعضها كان قد طبع في السابق مثل « **موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول** » فقد أعيد طبعه محققا بقلم محي الدين عبد الحميد ومحمد

حامد الفقي واعتمد في نشره على نسخة خطية بالمكتبة المحمودية بالمدينة وصدر سنة ١٣٧٠ هـ ومن هذه الكتب كتاب « **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** » وقد نشر في أربعة أجزاء بين عامي ١٣٨١/٧٩ هـ وكذلك كتاب « **نقض المنطق** » وقد حقق أصله المخطوط وصححه الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ سليمان الصنيع وشارك في التصحيح الشيخ محمد حامد الفقي وصدرت طبعته الاولى سنة ١٣٧٠ هـ.

ومن كتب شيخ الاسلام ابن تيمية ما أعيد طبعه مرارا لارتباطه بمناهج التدريس وحلقات العلماء مثل كتاب « **العقيدة الواسطية** » ولعلمائنا شروح عديدة عليه .

ويمكن أن تعد من هذا النوع مؤلفات العلامة ابن القيم (محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي) تلميذ ابن تيمية وقد طبعت أكثر مؤلفاته ومنها « **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية** » نشره محمد حامد الفقي على نفقة محمد سرور الصبان سنة ١٣٧٢ هـ ، و « **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** » طبع سنة ١٣٤٦ هـ على نفقة عبد الظاهر أبي السمح ومحمد صالح نصيف ، وكتاب « **روضة المحبين ونزهة المشتاقين** » ، وهو من مطبوعات الملك عبد العزيز وقد صحح نسخه وعلق عليها أحمد عبيد وطبع في دمشق ، وهو من أحسن الكتب المحققة من حيث العناية والفهارس ويؤخذ على المصحح حذف بعض الكلمات والجمل التي لم ترق له مما لا يرضى عنه التحقيق الحديث .

ومن كتب ابن القيم المهمة كتاب « **اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية** » ، وقد عنى بتصحيحه ومراجعة أصوله الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة والشيخ ابراهيم الشوري مدير المعهد العلمي بمكة وطبع في مصر سنة ١٣٥١ هـ وهنالك كثير من كتب ابن القيم نشرت لأول مرة أو أعيد طبعها بواسطة محققين سعوديين أو على نفقة المملكة .

ومن المؤلفين الذين نشرت كتبهم بكثرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد نشرت كتبه داخل المجموعات كما نشر بعضها مفردا (١) ، وكتبه رحمه الله تتميز بسهولة العبارة ووضوح الفكرة والقرب من النفوس ولذلك حسن تقرير بعضها في مراحل الدراسة المختلفة ومن أهمها كتاب « **التوحيد الذي هو حق الله على العبيد** » ويكاد كل مثقف في المملكة يعرفه لأهميته في موضوعه ، ومن مؤلفاته التي كثرت طبعاتها «**كتاب كشف الشبهات**»

في العقيدة وكتاب « **آداب المشي الى الصلاة** » في الفقه وهو من الكتب المختصرة في الفقه الحنبلي لخصه من كتاب « **الاقناع** » للشيـخ موسى الحجاوي ، ومن طبعاته في المملكة طبعة في الماجدية سنة ١٣٦٧ هـ أشرف على تصحيحها الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع وهو الذي قرره علـى طـلاب السنة السادسة الابتدائية ٠

ونشر له مختصر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لخص فيه سيرة ابن هشام وغير ذلك من فتاوى ورسائل أدرجت في المجموعات المختلفة (٤) ٠

غير أن حركة احياء التراث في المملكة شملت كتبا في العقيدة والتشريع أقدم مما ذكرنا فالكتب التي نشرت في المملكة أو على نفقتها يرجع بعضها الى القرون الاولى للهجرة ولا نستطيع في هذه المجالة ان نلم بهذه الكتب ، ولكننا نشير الى بعض الكتب المهمـة عبر العصور المختلفة ، فمـن مصنفات القرن الثاني كتاب « **التوحيد ـ المسمى الأدلة علـى الحكمـة والتدبير والرد على القائلين بالاهمال ومنكري الحمد** » لجعفر الصادق حققـه محمد عبد الرزاق حمزة سنة ١٣٧٦ هـ ومن كتب القرن الرابع جملـة صالحة لكبـار المؤلفين « **ككتاب التوحيد واثبـات صفات الرب عز وجل التـي وصف بهـا نفسه** » للحافظ شيخ الاسلام أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ) وقد نشر عام ١٣٥٣ هـ على نفقة الملك عبد العزيز رحمه الله ٠ وكتاب « **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء** » للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي وقد حققه محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد الرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي سنة ١٣٦٨ هـ وكتـاب « **الشريعـة** » لأبـي بكر محمد بن الحسيـن الآجري (ت ٣٦٠ هـ) وقد طبع لأول مرة بتحقيق محمد حامد الفقي سنة ١٣٦٩ هـ وعلى نفقة المملكة ٠

ومـن كتب القـرن السابع الهجري الضخمـة كتاب « **المغني** » في الفقه لموفق الدين أبـي محمد عبدالله بن أحمـد بن قدامـة وضعه علـى مختصر أبي القاسم عمر بن الحسين الخرقي وقد سبق أن ذكرنا أن كتاب « **المغني** » من أضخم الكتب في الفقه الاسلامي عامة وليس الفقه الحنبلي وحسب (٥) ٠ ومن كتب هذا القرن الضخمة « **الشرح الكبير على متن المقنع** » لشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن أبي عمر محمد بن قدامـة المقدسي المتوفي سنة ٦٨٢ هـ وقد طبـع الكتابين السيد محمد رشيد رضا في اثني عشر مجلدا من سنة ١٣٤١ ـ ١٣٤٨ هـ على نفقة الملك عبد العزيز ٠

وكتب القرن الثامن اكثرها من تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . ومن كتب الفقه الاخرى كتاب « **القواعد** » للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي المتوفي سنة ٧٩٧ هـ وقد صدرت طبعته الاولى سنة ١٣٥٢ هـ وشارك في احيائه الشيخ فوزان السابق .

وقد بعث من كتب القرن التاسع الموسوعية كتاب « **الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف** » علـى مذهب الامام احمد بن حنبل مـن تأليف العلامة علاء الدين ابي الحسن علي بن سليمان المرداوي (ت سنة ٨٨٥ هـ) وهو كما وصفه محمد حامد الفقي : « معلمة حنبلية لعلها تغني مقتنيها عن المختصرات والمطولات فقد سلك فيه مسلكا لم يسبق اليه بين فيـه الصحيح من المذهب وأطال فيه الكلام وذكر في كل مسألة ما نقل فيها من الكتب وكلام الاصحاب من المتقدمين والمتأخرين ، الا أنه قلما تعرض للدليل لأن كل همه كان موجها الى الجمع والاحصاء لكل ما قيل في المسألة وهي مهمة شاقة تستوعب المجهود العظيم » (٦) .

ومن كتب المذهب الحنبلي المهمة في القرن العاشر كتـاب « **التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح** » للعلامة احمد بن احمد العلوي الشويكي المقدسي (ت ٩٣٩) وفيه جمع بين « **المقنع** » للموفق بن قدامة و « **التنقيح** » للعلاء المرداوي وزاد عليهما أشياء مهمة .

وفي القرن الحادي عشر يلقانا مؤلف من أغنى المؤلفين في الفقه الحنبلي هو العلامة منصور بن يونس البهوتي شيخ الحنابلة في عصره وله من المؤلفات « **كشاف القناع عن متن الاقناع** » شرح به « **الاقناع** » في الفقه للحجاوي . وله « **شرح منتهى الارادات** » وقد مر أن هذين الكتابين قد طبعا قبل توحيد الجزيرة ثم أعيد طبعهما على نفقة عبدالله السويل سنة ١٣٦٦ هـ فجاء الاول في أربعة أجزاء والثاني في ثلاثة ثم طبع « **الكشاف** » طبعة تجارية على نفقة احدى المكتبات .

ومن كتب البهوتي التي نشرت مرارا كتاب « **الروض المربع شرح زاد المستنقع مختصر المقنع** » وهو من الكتب التـي ارتبطت بمناهج التدريس في بعض المراحل الدراسية المتقدمة .

ومن كتب القرن الحادي عشر **شرح كتاب عمدة الطالب المسمى هداية الراغب لشرح عمدة الطالب** » تأليف عثمان بن أحمد النجدي الحنبلي (ت سنة

١١٠٠ هـ) بتحقيق الشيخ حسنين مخلوف ونفقة محمد سرور الصبان سنة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

تلك اشارات موجزة الى بعض الكتب المهمة البارزة في مختلف القرون والتي شملتها حركة الاحياء وكان بعضها اما بتحقيقها من قبل أبناء المملكة أو الانفاق على طباعتها ونشرها وتكاد تكون كل هذه الكتب قد طبعت ووزعت مجانا ابتغاء وجه الله . ومعظم هـذه الكتب لم يطبق عليه شروط التحقيق العلمي الحديث فلم يميز فيه بين اختلافات النسخ ولا زود بالفهارس العلمية وقليل منه حظي بالتعليق والتدقيق .

ج ـ كتـب الشـروح :

وهي شروح وضعها علماء بلادنـا علـى بعض الكتب سواء كانت هذه الكتب تبحث في العقيدة أو الفقه وقد ارتبطت معظم هذه الشروح بكتب المتون أو الكتب المقررة في بعض المراحل الدراسية ولم تدخل في هذا الصنف الشروح القديمة اذ اننا نعدها من كتب التراث وانما عنينا الكتب المحدثة التي الفت في هذا العصر .

ومن الكتب التـي كثر شراحهـا كتـاب « **العقيدة الواسطية** » للامام ابن تيمية فقد نشرت له أربعة شروح للأساتذة : زيد بن فياض وعبد العزيز بن ناصر الرشيد وعبد الرحمن بن سعدي وعبد العزيز بن محمد السليمان .

ومن الكتب التي استأثرت بشرح العلماء في بلادنا كتاب «**عمدة الاحكام**» وهو في أحاديث الأحكام فله أربعة شروح للمشائخ : فيصل بن عبد العزيز آل مبارك ، واسماعيـل الانصاري ، وحسن سليمان النـوري ، وعباس مالكي ، والشيخ عبد الرحمن البسام ، وأكثر هذه الشروح تستمد من شرح ابن دقيق العيد للكتاب وتكـاد تتفق في المنهج ، تشرح المعنـى الاجمالي وتفسر الفاظ الحديث وتستنتج ما يؤخذ منـه وبعضها يتحدث عـن راوي الحديث ومـن أخرجه .

ومن الكتب التي شرحها علماؤنا : « **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد** » للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأقدم شروحه كتـاب : « **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد** » لحفيد المؤلف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ) غير انه لم يكمله فاختصر الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٥٨ هـ) هذا الشرح وأضاف اليه وكمله

وسمى شرحه « **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد** » وهو اكثر شروح الكتاب رواجا وقد طبع مرارا وآخر طبعة اطلعنا عليها طبعته الثامنة سنة ١٣٨٦ هـ في مطبعة القصيم بالرياض • وقد مر بنا أن كتاب « **فتح المجيد** » من أوائل الكتب السلفية التي طبعت في الهند •

وللشيخ عبد الرحمن بن حسن تعليق آخر على كتاب التوحيد سماه ابنه الشيخ عبد اللطيف « **قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين** » (٧) • وقد طبع على نفقة عمر عبد الجبار •

وللشيخ عبد الرحمن بن سعدي تعليق على كتاب التوحيد اسمه « **القول السديد** » طبع عام ١٣٨٢ هـ في الرياض •

وللشيخ حمد بن عتيق كتاب « **ابطال التنديد باختصار شرح التوحيد** » اختصر به شرح حفيد شيخ الاسلام « سليمان بن عبدالله » وأكمله •

ومن الكتب التي لقيت شروحا « **زاد المستقنع في اختصار المقنع** » شرحه الشيخ صالح بن ابراهيم البليهي في كتاب بعنوان **السلسبيل في معرفة الدليل** » في ثلاثة أجزاء وطبع في الرياض ١٣٨٦ هـ •

أما شرح هذا الكتاب المسمى « بالروض المربع شرح زاد المستقنع » (٨) للعلامة منصور بن يونس البهوتي فقد علق عليه الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري حاشية طبعت معه سنة ١٣٧٤ هـ •

وهنالك كثير من الشروح لكتب كثيرة بعضها لشيخ الاسلام ابن تيمية « **كالرسالة التدمرية** » (٩) وبعضها لابن القيم وخاصة « نونيته » المسماة **بالكافية الشافية** (١٠) ، وكذلك كتاب « **الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية** » للشيخ محمد بن أحمد السفاريني في التوحيد (١١) ومن هذه الكتب أيضا كتاب « **بلوغ المرام من ادلة الاحكام** » للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٢) •

تلك بعض كتب الشروح التي صنفها علماء الجزيرة وأكثرها كما ترى مرتبط ارتباطا وثيقا بالمتون والمقررات الدراسية التي يدرسها طلاب العلم سواء في المدارس النظامية أو في حلقات العلماء الخاصة والعامة •

د ــ كتب الردود :

والصنف الرابع من هذه الكتب كتب الردود وأكثرها الفت في الرد على مناهضي الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب • وقد

تجرد علماء الدعوة للرد على المعارضين وتصدوا لتفنيد أقوالهم وآرائهم بدلائل القرآن الكريم والسنة النبوية . ومن أهم مؤلفي الردود في هذا المجال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فله رد على داود بن جرجيس العراقي العاني باسم « **القول النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس** » (١٣) ، وله رد على مؤلف كتاب « **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة** » عبدالله بن حميد مفتي الحنابلة في مكة وقد سماه « **المحجة في الرد على اللجة** » وله ردود أخرى متنوعة (١٤) . ولابنه الشيخ عبد اللطيف جهد كبير في الرد على المعارضين ومن كتبه « **تحفة الطالب والجليس في الرد على بن جرجيس** » (١٥) ، و « **منهاج التاسيس والتقديس كشف شبهات داود بن جرجيس** » (١٦) و « **مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الامام ونسبه الى تكفير اهل الايمان** (١٧) . ومن علماء نجد الذين ردوا على ابن جرجيس الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين في كتابه « **تاسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس** » القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ .

ويعد الشيخ سليمان بن سحمان أكثر علماء نجد ردودا على معارضي الدعوة ومناهضيها ، وقد طبعت له ردود كثيرة أشرنا الى نشر بعضها في الهند كما أعيد طبع بعضها في مطبعة المنار ، ومن كتبه التي طبعت للمرة الاولى في مطبعة المنار كتاب « **الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق** » رد به على جميل صدقي الزهاوي الشاعر وكان قد ألف رسالة دعاها « **الفجر الصادق** » عارض بها الدعوة السلفية ، ومن كتب ابن سحمان التي طبعت في مطبعة المنار كتاب « **تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة** » وكتاب « **تبرئة الشيخين الامامين عن تزوير أهل الكذب والمين** » وقد طبعا سنة ١٣٤٣ هـ .

ومن كتب الردود التي تتعلق بدعوة الاصلاح التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتاب العالم الهندي محمد بشير السهسواني (ت ١٣٢٦ هـ) « **صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان** » (١٨) رد فيه على مؤلف أحمد زيني دحلان في الرد على الوهابية ، وكذلك كتب السيد محمد شكري الألوسي وغيرهم .

ان كتب الردود تمثل قطاعا خاصا من كتب التراث عندنا ، تراث الدعوة السلفية ، وهي تمثل مرحلة جديدة من أدق المراحل التي مرت بها هذه الدعوة وهي في طريقها الى الانتصار .

أحمد محمد الضبيب

الهوامش والمصادر

(١) انظر بحثنا : « حركة احياء التراث قبل توحيد الجزيرة » ، الدارة ، ع١ مج١ ، ربيع الاول ١٣٩٥ هـ / مارس ١٩٧٥ م ص ص ٤٤ ــ ٦٢ .

(٢) مجموعة التوحيد ، ط. مكة ، ١٣٤٣ هـ ، ص.ب .

(٣) محمد سعيد عبد المقصود « الطباعة في الحجاز » صوت الحجاز ، ع ٣٤٣ في ١٣٥٧/١٢/٥هـ .

(٤) للتوسع في معرفة ما نشر من مؤلفات الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ينظر كتابنا : « آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، سجل ببليوجرافي لما نشر من مؤلفاته » ، الرياض ، المطابع الاهلية للاوفست ، ١٣٩٧ هـ .

(٥) انظر بحثنا : حركة احياء التراث قبل توحيد الجزيرة ، الدارة ، ع١ ، مج١ ، ربيع الاول ١٣٩٥ هـ / مارس ١٩٧٥ م ، ص ٥٤ .

(٦) مقدمة الجزء الاول ، ص : ن .

(٧) مشاهير علماء نجد ، ص ٦٢ .

(٨) نشر في جزئين بين عامي ١٣٤٨ هـ و ١٣٤٩ هـ بالمطبعة السلفية على نفقة الحاج عبد الرحمن القصيبي .

(٩) شرحها فالح بن مهدي في جزئين ، مطابع القصيم ١٣٨٦ هـ .

(١٠) من شراحها عبد الرحمن بن سعدي بعنوان « توضيح الكافية الشافية » القاهرة ١٣٦٨ هـ .

(١١) اول من شرح هذا الكتاب مؤلفه وطبع شرحه بعنوان « لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية » وقد طبع لأول مرة في

مطبعة المنار سنة ١٣٢٣ هـ ومن الشراح المعدثين محمد بن علي بن سلوم ، ومحمد بن عبد العزيز بن مانع .

(١٢) من شراحه السيد علوي مالكي في كتابه ، ابانة الاحكام شرح بلوغ المرام .

(١٣) طبع في القاهرة سنة ١٣٦٥ هـ .

(١٤) انظر ترجمته في « مشاهير علماء نجد » ط٢ ص ٧٨ سنة ١٣٩٤ هـ .

(١٥) طبع هذا الكتاب بعنوان « دلائـل الرسوخ في الرد علـى المنفوخ » وقد وضع هذا العنوان الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع على ما ذكره صاحب كتاب « مشاهير علماء نجد » ص ٧٥ وقد صدرت طبعته الثانية سنة ١٣٨٢ هـ مطبعة المدني .

(١٦) القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .

(١٧) القاهرة ـ مطبعة السنة المحمدية .

(١٨) طبع هذا الكتاب اولا طبعة حجرية في الهند وعزي في هذه الطبعة الى العلامة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم السندي ثم طبع مرة أخرى في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥١ هـ (على نفقة جماعة من الحجازيين والنجديين) وقدم له محمد رشيد رضا بمقدمة ضافيـة كمـا وضع له العناوين وزوده بفهرس للموضوعات ، ثم اعيد طبعه بعد ذلك .

حركة إحياء التراث

بعد

توحيد الجزيرة العربية ٦



د. أحمد بن محمد الضبيب

كتب الجغرافية (القسم الأول)



إن مطبوعات التراث في المادة الجغرافية قليلة نسبياً إذا ما قورنت بنظيرتها في المادة التاريخية .. والمؤلفات الحديثة في جغرافية الجزيرة والحديث عن أعلامها وأماكنها ليست قليلة، ولكن القليل هو نشر النصوص القديمة المتعلقة بذلك، ولعل المادة المستقلة في كتب والتي تتعلق بالجزيرة العربية ليست من الكثرة بالقدر الذي يجعلها تنافس المادة التاريخية عبر العصور نظراً للامتداد الزمني المتعلق بالجزيرة العربية عبر التاريخ وانحصار الرقعة الجغرافية في المكان المحدد على مرور الزمان.

غير أن الاهتمام بجغرافية الجزيرة، مواضعها ومواقعها، ومرابع الشعراء فيها لم يكن فيما يبدو ظاهراً قبل الدولة السعودية، فنحن لا نكاد نجد في محيط الجزيرة العربية مؤلفات تختص بالجغرافيا بشكل عام، وبجغرافيا الجزيرة بشكل خاص في العهد الذي سبق العهد السعودي. ولا شك أن الفترة العثمانية لم تكن صالحة للبحث في هذا الموضوع. إلى جانب أن العناية بمثل هذه الأمور تستلزم وعياً وطنياً وثقافياً معيناً لم يكن فيما يبدو سائداً في البيئات التي لم تكن تتصل بالأصول التراثية إلا بقدر يسير.

لقد كانت البيئة الثقافية في بداية عهد الملك عبد العزيز تُعين على أن يلتفت الباحثون إلى كثير من الموضوعات المنسية. ولعل بعضها تم الاقتراب منه بفعل التطور الذي لامس الدولة، بل لا نكاد نبالغ إذا قلنا ان تباشير الانتقال من بيئة تقليدية إلى بيئة متطورة تتلمس الجديد الممكن قد رشحت كثيراً من الموضوعات للظهور، فالبدء باستعمال اللاسلكي، وتنظيم البريد بين مواقع المملكة المختلفة، ونشاط جباة الزكاة، وانتشار المصالح الحكومية وتنظيمها، والاهتمام بالأمن الشامل، وغير ذلك من الأمور التي تمس إليها مصلحة الدولة إلى جانب التطلعات الأدبية والعلمية قد جعلت الاهتمام ينصرف إلى موضوع الجغرافيا، دراسة وتحقيقاً وتأليفاً.

ومنذ عهد مبكر نجد بعض الأبحاث التاريخية والجغرافية تنشر في الأعداد المبكرة من صحيفة أم القرى يتعاور على كتابتها رشدي ملحس، وعبد القدوس الأنصاري وحمد الجاسر.

لقد سبق أن أشرنا إلى أن رشدي ملحس كان من الأوائل الذين لفتوا الأنظار إلى كثير من الموضوعات الجغرافية والتاريخية[١]، فقد نشر فصولاً من كتابه «معجم منازل الوحي» في المنهل[٢]، وألّف كتاباً في منازل المعلقات حقق فيه ما يقارب ١٥٠ منزلاً مما ذكر في المعلقات العشر، إلى جانب كتابه الذي نشر سنة ١٣٤٩هـ بعنوان «معجم البلدان العربية -الحجاز ونجد وملحقاته».

كما أشار حمد الجاسر إلى أن رشدي ملحس أول من لفت نظره إلى أهمية كتاب «بلاد العرب» للغدة الأصبهاني وذلك بما نشره من أبحاث تتعلق بالجزيرة، كان في كثير منها يستشهد بنقول من هذا الكتاب، وينسبها إلى الأصمعي[٣]. وقد حقق رشدي ملحس الكتاب ولكنه لم يتهيأ له نشره.

ونجد محمد بن بليهد يبدأ في تأليف كتابه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» من واقع ملاحظاته ومشاهداته والطريف أن من أسباب تأليف هذا الكتاب – على ما ذكر مؤلفه – أن الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود (الملك فيصل فيما بعد) عندما زار أمريكا لحضور مؤتمر سان فرانسيسكو سنة ١٩٤٥م «تشرف بالسلام على سموه كثير من رجالات الأدب العربي في المهجر، ولما آنسوا من سموه صفات العربي النبيل ... أبدوا لسموه ... ما يشعرون به من حاجة ملحة إلى معرفة ما ورد في الأشعار الجاهلية، وخاصة المعلقات من الأودية، والجبال والمياه والتلول والرمال. والرياض، والبلدان العامرة والدارسة، ومعرفة ما بقي منها إلى يوم الناس هذا على اسمه الأول، وما اعترى اسمه شيء من التغير، وذكروا أن في هذه المعرفة عوناً للأديب الذي يتمرس بدراسة آثار أولئك الشعراء الخالدة آثارهم»؛ وقد استجاب الأمير لهذه الرغبة فأمر المؤلف بأن يكتب في هذا الموضوع[٤]، كما ذكر المؤلف من الأسباب التي دعته إلى التأليف وجود قوم «أشرب الله قلوبهم حب العرب والعربية ما فتئوا يثيرون اهتمامه لهذا البحث ومنهم الأستاذ رشدي ملحس الذي كتب إليه كتاباً يقول فيه : يهمني جداً معرفة حدود الأماكن التي ورد ذكرها في المعلقات العشر، وقد عنيت لأجل ذلك بجمع ما تيسر تحقيقه، وبما أنك من الخبيرين بمثل هذه الأمور جئت بكتابي هذا أرجوك مساعدتي في هذا البحث، وأن

تكتب إليَّ مطولاً عما لديك من التحقيقات عن هذه الأماكن مع بيان حدود كل منها، وتعريفها تعريفاً وافياً، وأرفق كتابه بقائمة فيها أسماء المواضع التي أشكلت عليه[٥].

ثم تولى وزير المالية عبد الله السليمان الحمدان نشر الكتاب على نفقته، فأنت ترى أن الدولة ممثلة بأمير خطير من أمرائها قد طلبت تأليف هذا الكتاب، وأن المثقفين العرب داخل المملكة وخارجها كانوا يطالبون بموضوعه، وأن وزير المالية قد أمر بطبعه، فالموضوع إذن كان حياً في أذهان الجميع وخاصة من كان منهم على رأس السلطة، والمتتبع للتأليف في هذا المجال يجد أن مؤلفات الأدباء العرب في بداية عصر النهضة قد حاولت إعادة اكتشاف الجزيرة وبلاد الحرمين الشريفين على وجه الخصوص، لا على أساس جغرافي وحسب، وإنما على أساس سياسي واجتماعي وثقافي مختلف، فصدرت في تلك الأيام كتب لرحالة أو لأدباء كبار يحتلون الساحة الفكرية على مستوى العالم العربي، كخير الدين الزركلي الذي وصف رحلته إلى الجزيرة في كتابه «ما رأيت وما سمعت بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٢١»، وأمين الريحاني، الذي صدرت الطبعة الأولى من كتابه «ملوك العرب» في بيروت سنة ١٩٢٤م والأمير شكيب أرسلان الذي كتب كتابه «الابتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» والذي وصف فيه رحلته إلى الحج سنة ١٣٤٧هـ، ومحمد حسين هيكل الذي سجل رحلته إلى مكة في كتابه «في منزل الوحي» وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٧م. وحافظ وهبه في كتابه «جزيرة العرب في القرن العشرين» الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م. وفؤاد حمزة في كتابيه «قلب جزيرة العرب» الذي صدر سنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م و «في بلاد عسير» الذي صدر سنة ١٩٥١م، وعبد الوهاب عزام في كتابه «مهد العرب» الذي كتب مقدمته سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م وصدر سنة ١٩٥٥م، وقد دعا عبد الوهاب عزام في مقدمة هذا الكتاب إلى أن تبعث جامعة فؤاد الأول بعثاً من المؤرخين والأدباء والجغرافيين والمهندسين ليضعوا مصورات للجزيرة، ويبينوا المواضع التي ذكرت في التاريخ والأدب، ويحققوا أمكنة الوقائع التاريخية، ومنازل القبائل القديمة[٦].

نقول إذا تأملنا ذلك كله تبين لنا أن جغرافية الجزيرة العربية كانت موضوعاً حياً في أذهان الأدباء العرب، ولا شك أن لذلك أثره على الحياة الفكرية داخل الجزيرة العربية.

ولم يكتف ابن بليهد بتأليفه صحيح الأخبار وإنما أتبعه بكتاب آخر أسماه «ما

تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» ألفه سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م جمع فيه الأسماء المتشابهة في الرسوم المختلفة في المكان، وقد ظل هذا الكتاب حبيساً في مخطوطته حتى نشره محمد بن سعد بن حسين في الرياض (بلا تاريخ) عن نسخة وحيدة بخط المؤلف يحتفظ بها ابنه عبد الله. وقد تبين أن الكتاب ليس كاملاً، نظراً لأن المؤلف كتبه في آخر حياته.

وبعد ابن بليهد ينهض التأليف في الجغرافيا نهوضاً ملحوظاً، من خلال أعمال رائد علم المواضع في الجزيرة العربية حمد الجاسر الذي لم يكتف بنشر كتب الأقدمين، وإنما قدّم مشروعاً متكاملاً للتأليف في جغرافية مواضع الجزيرة العربية أسماه «المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية» والذي كتب الجاسر من أقسامه حتى الآن ثلاثة مؤلفات هي :

١ - المقدمة في جزئين[٧].

٢ - شمال المملكة، (إمارات حايل والجوف وتبوك وعرعر والقريات) في ثلاثة أجزاء[٨]

٣ - المنطقة الشرقية، البحرين قديماً[٩].

وشاركه في هذا المشروع مجموعة من الأدباء والكتاب، فكتب سعد الجنيدل القسم الخاص بعالية نجد (وهي تشمل إمارات الدوادمي والقويعية والخاصرة وعفيف ووادي الدواسر وغيرها) في ٣ أجزاء[١٠]، كما كتب محمد بن ناصر العبودي القسم الخاص ببلاد القصيم في ٦ أجزاء[١١]، وكتب محمد بن أحمد العقيلي القسم الخاص بمنطقة جازان[١٢]، وكتب عمر غرامه العمروي القسم الخاص ببلاد رجال الحجر[١٣]، كما كتب ما يخص بلاد بارق[١٤]. وألف علي بن صالح الزهراني القسم الخاص ببلاد غامد وزهران[١٥].

وفي إطار هذا المعجم أعد عبد الله بن خميس كتابه «معجم اليمامة»[١٦]، كما أعد عاتق ابن غيث البلادي كتابه «معالم الحجاز»[١٧].

وإذا حصرنا الحديث في تحقيق التراث فإن محمد بن بليهد يعد أيضاً أول جغرافي من هذه البلاد حاول نشر نص جغرافي قديم، وذلك بعمله في تحقيق كتاب «صفة جزيرة العرب» للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت ٣٣٤هـ) وقد أعاد نشره في القاهرة سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، معتمداً على مطبوعة بريل بتحقيق المستشرق د.هـ. مولر التي صدرت في لندن سنة ١٨٩١م مع الاستعانة بنسخة نسخت من مخطوطة يمنية أرسلها إليه أمير نجران تركي بن محمد بن ماضي.

لقد كان تحقيق ابن بليهد لكتاب «الصفة» تحقيقاً اجتهادياً في معظمه، لا يخضع لما تواضع عليه العلماء المحدثون من أصول التحقيق، وهو معذور في ذلك، إذ لم تكن سبل التحقيق واضحة في تلك الأيام، ناهيك عن صعوبة العثور على المصادر مخطوطة أو مطبوعة. وما يميز هذه النشرة هو اعتماد ابن بليهد على معلوماته الميدانية، وملاحظاته الشخصية في معظم الأحيان، إلى جانب تعليقات كثيرة على الكتاب فضّل أن يفردها بقسم أخير ملحقة بالكتاب ولقد كان هذا الإجراء - على ما فيه من صعوبة بالنسبة للقارىء - سليماً لو أنه أشار في مواضع من صلب الكتاب إلى هذه التعليقات، ولكنه فعل العكس فأشار في التعليقات إلى أرقام صفحات الكتاب، ولذلك أوجب على القارىء أن يقرأ الكتاب أولاً، ثم يقرأ التعليقات مجتمعة. أو أن يقرأ التعليقات منفردة وينتقل منها إلى صفحات الكتاب. ثم إنه رحمه الله وضع فهارس مضطربة فنقل فهرس الطبعة الأوروبية برمته بعد تغيير أرقامه إلى الأرقام الأخرى، ولم يضف إليه أرقام صفحات التعليقات، بل أفردها في فهرس مستقل مما ضيّع على العمل وحدته، وقد بدت كثير من هذه التعليقات وقد أخذت صفة الاستطرادات، والانطباعات التي لا تتفق في بعض وجوهها وما درج عليه الباحثون المحدثون من المنهجية العلمية.

وقد علق حمد الجاسر على هذه الطبعة، وطبعة أوروبا بقوله: «والواقع أن قارئ أية واحدة من الطبعتين لا يستطيع أن يبصر طريقه لكثرة ما فيهما من الكلمات المشكلة ولا يرجع هذا إلى قصور المحققين الفاضلين في عملهما بل إلى غرابة كثير من أسماء المواضع، ووقوع التصحيف فيها منذ عهد قديم»[١٨].

غير إننا مع ذلك لا يجب أن ننكر أن نشر ابن بليهد لكتاب «صفة جزيرة العرب» كان مغامرةً رائدةً في مجال نشر التراث الجغرافي، وإنه قد بذل فيه جهداً حقيقياً لا يمكن إغفاله.

لقد أتيح لكتاب الصفة أن ينشر نشرة ثالثة بتحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي وأشرف على طبعه حمد الجاسر بعد أكثر من عشرين سنة من طبعة ابن بليهد. واتسمت هذه الطبعة بالمراجعة على نسخة بلغت من الجودة درجة حملته على الاعتماد عليها واتخاذها أصلاً لمعاناتها، وعناية بعض العلماء اليمنيين بها[١٩]. هذا مع القول بأن المحقق قد اطلع على نسخ لم يطلع عليها من سبقه[٢٠]. إلى جانب اعتماده على مشاهداته وخبراته وتجواله في البلاد اليمنية.

وعلى المطبوعتين السابقتين طبعة مولر

وطبعة ابن بليهد. كما رجع إلى مخطوطة من أرجوزة الرداعي من مخطوطات المكتبة التيمورية في دار الكتب المصرية (لم يذكر رقمها).

لم تذكر المقدمة التي وضعها حمد الجاسر وصفاً للمخطوطات التي اطلع عليها المحقق ولا لتلك التي اعتمد عليها. ولكنه وصف عمله بأنه خير ما بذل أو ما يمكن بذله حيال هذا الكتاب الذي نخر داء التصحيف جسمه قرابة ألف عام[21].

قدَّم الجاسر الكتاب بمقدمة شملت الترجمة للهمداني والحديث عن حياته ومؤلفاته، وكتابه «صفة جزيرة العرب» ما طبع منه سابقاً ومخطوطاته. ثم أشار إلى أنه حين عهد إليه بالإشراف على طبع الكتاب فكَّر بعدم إثقال الكتاب بالحواشي، قائلاً : «حاولت أن أوضح من أسماء المواضع النائية عن اليمن ما قد يكون من خطأ الناسخ، أو هفوة المؤلف، أو أضيف إلى التعريف بالموضع أو وصفه على ما هو عليه الآن ما قد يحتاج إليه القارىء، غير أنني رأيت هذا العمل يضاعف حجم الكتاب، بل يخرج عن النهج المألوف في التحقيق إلى عمل هو بالشرح ألصق، فالهمداني - رحمه الله - في كل ما هو خارج عن اليمن، ما هو سوى ناقل، ولهذا فجميع ما أورده من هذا القبيل في حاجة إلى تأمل وتثبت وما في الكتاب عن اليمن بل كل ما فيه عن الجزيرة .... من المعلومات العامة تعتبر - باعتراف العلماء - من خير ما أثر عن المتقدمين، ويعبر بوضوح عن غزارة علم الهمداني ....»[22].

لهذا انحصر عمل الجاسر كما يقول : «في إضافة كلمات موجزة إلى ما كتبه الأستاذ المحقق، وفي مقابلة الأصل الذي نسخه وعلق عليه بمخطوطة لديَّ من الكتاب وهي ليست بأقل من غيرها سوءاً وتصحيفاً وعهدها لا يتجاوز ما قبل القرن العاشر مع نقصها»[23].

غير أن هذه النسخة لا تمثل ما كتبه المحقق جميعه من تعليقات وهوامش. فقد أورد الجاسر في التمهيد ما يفيد بأنه حذف من حواشي المحقق ما وجده لا يتصل بالمواضع قائلاً : «بلغت به الثقة إلى أن رغب بأن أشرف على نشره، وأباح لي بأن أضيف أو أحذف ما أراه مما لا يمس بجوهر عمله. فقد أطلق أستاذنا لقلمه العنان فأسبغ الحواشي، ووجد مقال القول ذا سعة عن مفاخر ذلك القطر الكريم، والإشادة بذكر أعلامه فاسترسل في ذلك. إلا أن موضوع الكتاب، وارتفاع أجور الطبع، وثمن الورق، وتغير الأحوال تغيراً جعل القارىء في هذا

العصر متكيفاً بحالة عصره، فكان من أثر ذلك الحرص على الانتفاع بما بذله الأستاذ الجليل من جهد فيما له صلة بتحديد المواضع وإرجاء ما عدا ذلك لمجال أرحب في فرصة أخرى»[٢٤].

ومما استغنى الجاسر عنه المقدمة التي وضعها المحقق للتعريف بالمؤلف نظراً لإبطاء المحقق في إرجاعها إلى الناشر وقد بعثها إليه لإضافة بعض المصادر إلى مواضع منها. وقد وضع الجاسر بدلاً منها مقدمة مستقلة وصفها بأنها مغترفة من بحر علم الأكوع وارث علم الهمداني ومحيي آثاره ومؤرخ القطر اليماني في هذا العصر[٢٥].

ومع أن هذه النسخة من «الصفة» يفترض فيها الصحة والضبط إلا أنها لم تخل من التطبيع وربما التحريف الذي يشيع بين سطورها وفي هوامشها، وكثير منه لم يدخل في جدول التصويب الملحق بالكتاب، إلى جانب أن المحقق يصرف جهداً في التعريف ببعض المشاهير في الهوامش، من مثل قيس ابن الحطيم الخزرجي ص ٥٨، وجرير ص ٦٤ والوليد بن عبد الملك ص ٨٢ وأبي نواس ص ٨٥ والشافعي ص ٩٠ وغير أولئك ممن يصفهم هو بالمشهورين عقب كل إشارة مما لا معنى لوروده في هامش الكتاب.

ومما يؤخذ على هذه النشرة عدم ضبط كثير من أسماء الأماكن بالشكل الكامل حتى يأمن قارئها التصحيف بل نجد الضبط فيها يتناول بعض الحروف مع عدم أمن الخطأ في الحروف الأخرى وانظر مثالاً على ذلك ما ذكره الهمداني من مواضع الأسد في الجزيرة ص ٢٦٨ - ٢٦٩ أو مواضع الجن المضروب بها المثل (ص ٢٦٩).

وقد ألحق الكتاب بفهارس شملت المباحث العامة، وأسماء المواضع والأعلام وجدولاً للخطأ والصواب.

والنسخة مع ذلك تظل أجود ما صدر من طبعات لهذا الكتاب المهم في جغرافية بلاد العرب.



الهوامش

(*) انظر للكاتب، حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة، الدارة، ع ١، ج ٢، ربيع الأول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م ص ٤٤ - ٦٢ وحركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة (كتب العقيدة والتشريع) الدارة، ع ٤، ج ٣ صفر سنة ١٣٩٨هـ/يناير ١٩٧٨م ص ٨ - ٢١ وحركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة (كتب التفسير والحديث) الدارة، ع ٣ ج ٤، شوال ١٣٩٨هـ/سبتمبر ١٩٧٨م وكتب التاريخ (١)، الدارة ع ٤ ج ٥ رجب ١٤٠٠هـ يونيه ١٩٨٠م ص ٢١ - ٢٨ وحركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة (كتب التاريخ (٢)) الدارة ع ٣ ج ٥ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ مارس ١٩٨٠م ص ٩ - ١٦.

(١) انظر حديثنا عن تحقيقه لكتاب أخبار مكة للأزرقي، في قسم التاريخ.

(٢) ذكره عبد القدوس الأنصاري، المنهل م٦ سنة ١٣٦٥هـ ج ٤ ص ١٧٥

(٣) الأصفهاني، لغدة، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٤) ابن بليهد، محمد، صحيح الأخبار، القاهرة، مط. السنة المحمدية سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ص ١ - ٣

(٥) المصدر السابق ص ٥.

(٦) عبد الوهاب عزام، مهد العرب، القاهرة، دار المعارف (سلسلة اقرأ) سنة ١٩٥٥م ص ٦.

(٧) الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٨) الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٩) الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(١٠) الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م - ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(١١) الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، طبعت الأجزاء الثلاثة الأولى في القاهرة بمطبعة نهضة مصر ١٣٩٩/١٤٠٠هـ/١٩٧٩ - ١٩٨٠م وطبعت الثلاثة الباقية في الرياض بالمطابع الأهلية للأوفست بلا تاريخ.

(١٢) صدرت له طبعتان مختلفتان، الأولى في الرياض منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة النشر سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م في ٢٨٨ صفحة، والثانية طبعة مشتركة بين دار اليمامة والنادي الأدبي بجازان ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م في ٤٨٥ صفحة إلى جانب بعض الصور والخرائط.

(١٣) الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٧/١٣٩٨هـ ذكر عليه أنه الجزء الثالث.

(١٤) الرياض، مطابع وإعلانات الشريف ١٣٩٧/١٣٩٩هـ.

(١٥) الزهراني، علي بن صالح العلوك، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد غامد وزهران. الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٧١م.

(١٦) الرياض، مط. الفرزدق سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م جزءان.

(١٧) ط ١ مطبوعات نادي الطائف الأدبي، مكة المكرمة، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م والجزءان الثاني والثالث مكة، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(١٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، المقدمة ص ٣٢.

(١٩) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٩٤هـ المقدمة ص ٣٢.

(٢٠) الموضع نفسه.

(٢١) الموضع نفسه.

(٢٢) المصدر السابق، ص ٣٦.

(٢٣) الموضع نفسه.

(٢٤) المصدر السابق ص ٥ أ.

(٢٥) الموضع نفسه.

حركة احياء التراث
قبل توحيد الجزيرة

الدكتور أحمد محمد الضبيب
عميد شئون المكتبات
بجامعة الرياض

لم تدخل المطبعة الجزيرة العربية قبل سنة ١٨٧٧ م حين أنشأ الاتراك العثمانيون مطبعة في اليمن ولم تكن وسائل الاتصال على الصعيدين الطبيعي والسياسي متاحة بين أبناء الجزيرة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ‥ فكان لا بد أن يتجه ناشرو التراث الى بلاد خارج الجزيرة التى كانت مرتبطة بها عن طريق خطوط بحرية لكى ينشروا ما يشاءون من كتب . وعند ما انشئت مطبعة الولاية في مكة سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) لم تكن تفي بالغرض لضعف وسائلها أولا ولا نحصارها في مؤلفات علماء مكة ثانيا ‥ ذلك لان الوسائل التى تربط غرب الجزيرة بأجزائها الاخرى كانت ضعيفة جـدا .

ولقد اتجهت الانظـار الى مركزين خارج الجـزيرة هما : الهند ومصر بالاضـافة الى مركز مكة الطباعى الذى ظل يخـرج التراث بشـكل محـدود .

ولقد تهيأ للمطابع الهندية أن تخـرج في العقدين الاول والثانى من القرن الرابع عشر الهجرى بعض كتب التراث التى نشرت بواسـطة أبناء الجزيرة العربيـة وكانت كتب الدعوة الاصلاحية التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكذلك بعض الكتب السلفية الاخرى لشيخ الاسـلام ابن تيمية ولتلميذه ابن القيم أهم هذه الكتب .

كانت كتب الدعوة الاصلاحية تشيع في العالم الاسلامي نظرا لما احدثته تلك الدعوة من هزة فكرية عارمة ، فكانت تؤلف الردود على علمائها ، وكان علماؤها ينافحون ويكافحون من أجل الدفاع عن العقيدة وتثبيت اصول السلف .

ومن الطبيعي أن لا تكون السلطة العثمانية في ذلك الوقت راضية عن انتشار الكتب السلفية التي كانت تصل بواسطة أيد أمينة الى بعض العلماء وطلاب العلم سواء في مكة أو غيرها من بلاد العالم الاسلامي ، ويذكر احمد علي في مقال له بعنوان « ذكريات » نشر في « المنهل » موقف السلطات العثمانية من تلك الكتب في مكة فيقول « والكتب المحرمة والممنوع بيعها هي كتب العقيدة السلفية ومؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من السلفيين (١) » ثم يقص علينا كيف تصرفت السلطات ببعض الكتب السلفية التي وردت من الهند فاقامت عليها حراسة مشددة ثم مزقتها بمشهد من شيخ الاسلام التركي والقاضي ونفر من الهنود المعروفين بميلهم الى الدعوة السلفية (٢).

ويحدثنا عمر عبد الجبار أن الشيخ أبا بكر خوقير (ت ١٣٤٩ هـ) كان يسافر الى الهند لجلب كتب السلف ونشرها بمكة « وقد لاقى الشيخ أبو بكر بعض العنت في سبيل تمسكه بعقيدته السلفية حتى زج به في السجن ولم يفرج عنه الا بعد استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز (٣) » .

ويذكر عن الشيخ عيسى بن عكاس (ت ١٣٣٨ هـ) أحد علماء الاحساء في زمنه أنه قد واجه معارضة من بعض مواطنيه عندما وردت عليه بعض كتب السلف من الهند وجرت بينه وبينهم مناظرة في هذا الشان واخيرا انتصر الشيخ وقطع خصومه بالحجة والبرهان واستمر في توزيعها (٤) .

وكل هذه القصص وغيرها تؤكد لنا أن الهند كانت مركزا مهما في طباعة الكتب السلفية ، كما كانت معروفة بطباعة كتب الحديث . ويهمنا من هذه الكتب تلك التي أصدرها علماء من هذه البلاد أو كان لهم فيها مشاركة من أي وجه فهي تمثل مرحلة من مراحل نشاط الجزيرة العربية في طبع التراث .

وعلاقة الهند بالدعوة الاصلاحية السلفية التي بدأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب تتمثل في عدة وجوه ، منها تبادل الزيارات بين علماء نجد وعلماء الهند وتاثر بعضهم ببعض فمن المعروف أن العلامة الشيخ سعد بن عتيق سافر الى الهند في نهاية القرن الثالث عشر (١٢٩٩ هـ) وهناك استقر به المقام في بهوبال واجتمع بالعلامة السلفي واللغوي الكبير صديق حسن خان وقرأ على عدد من علماء الحديث ، وقد مكث هذا العالم الجليل في الهند تسع سنين (٥) .

ومن ذلك ما يذكر من أن الشيخ اسحاق بن العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قد سافر الى الهند سنة ١٣٠٩ (٦) ، وفي أخبار الشيخ ابراهيم بن عيسى المؤرخ المشهور (ت ١٣٤٣ هـ) أنه قام برحلات الى الهند (٧) وكذلك الشيخ عبد الله بن بليهد (ت ١٣٥٩ هـ) (٨) .

وقد تعرف العلماء الهنود على الدعوة الاصلاحية منذ طار صيتها في الآفاق ونجد كثيرا من علماء الهند على عقيدة السلف اما تأثرا بهذه الدعوة أو وصولا اليها بمعض الصلة الوثيقة بالكتاب والسنة ولعل بعضا منهم اتصل بها اثناء حكم آل سعود للحجاز في عهد الامام سعود الاول سنة ١٢٢١هـ وبعدئذ عمر عبد الجبار ان من آثار تلك الفترة ان غرست العقيدة السلفية في بلاد الحجاز ونشرت كتب السلف ووجد من العلماء من يقوم بحملها الى الشرق فهاجر بعض علماء الحجازيين الى اندونيسيا من اجل بث العقيدة السلفية (٩) .

ومن علماء الهنود الذين ينهجون نهج السلف الصالح ويلتقون مع الدعوة الاصلاحية شاه ولى الله الدهلوى وأنصاره الذين أعلنوا الجهاد على السلطات البريطانية وعلى استبداد الهندوس في بعض مناطق شبه القارة الهندية حتى سماهم الانجليز والاعداء بالوهابيين .

ومن علماء السلف المشهورين العلامة النواب صديق حسن خان نواب بهوبال وقد جمع الى جانب فقه الحديث بصرا في اللغة العربية وله تآليف كثيرة مختلفة .

وغنى عن الذكر أن نضيف الى هؤلاء الشيخ محمد بشير السهسوانى وقد تتلمذ لجملة من علماء الدعوة السلفية هنود وعرب ومن شيوخه الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٧ هـ) النجدى نزيل مكة . ومن أشهر تآليف هذا العالم الهندى مؤلفه بعنوان « صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان » رد به على السيد أحمد زينى دحلان مفتى الشافعية بمكة .

كانت الهند في بداية القرن الرابع عشر مركزا تنطلق منه كتب الدعوة الاصلاحية ولعلنا نرجع ذلك الى عدة أسباب :

- منها أن أنصار الدعوة في تلك البلاد كانوا يحتفون بكتب العقيدة ويعملون على نشرها على نحو ما بينا آنفا .
- ومنها أن سياسة تلك البلاد لم تكن متأثرة بالسلطة العثمانية التي كانت تحارب الدعوة .
- ومنها أن صلات بلاد العرب بالهند وخاصة صلات الخليج العربي بها كانت قوية ولم يكن الامر بهذا الشكل بين أقطار العروبة .
- ومنها أن معظم هذه المطبوعات كانت أعمالا خيرية يقوم بها المواطنون العرب من سكان الخليج العربي أو تجار العرب في الهند لان هؤلاء كانوا يملكون من الأموال ما يمكنهم من الانفاق على وجوه الخير ولذلك نجد أسماء بعض المحسنين تذكر على صفحات العناوين لبعض هذه الكتب وفي أحيان أخرى نجد أسماء الساعين في طبع هذه الكتب نيابة عن الناشرين الحقيقيين .

ولسنا نعلم على وجه الدقة في اى عام بدأ نشر الكتب السلفية في الهند ولكننا لم نطلـــع على كتب طبعت قبل عام ١٣٠٨ هـ وهى السنة التى طبع فيها كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وفي عام ١٣١٠ هـ طبع كتاب « منهاج التاسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جريس » للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (مطبعة دير سات بومباى) ولا نستبعد وجود كتب اخـــرى طبعت قبـــل هذين الكتابــــــين .

وفي العقد الثانى من هذا القرن طبع كتاب « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ـ المطبع الانصارى فيبلدة دهلى) سنة ١٣١١١ هـ .

ويذكر احمد على ان هنالك شرحا آخر لكتاب التوحيد بقلم حمد بن حسن النجدى طبع في مدينة دهلى هذا العام بعنوان « الدر النضيد » (١٠) ولم أطلع على هذا الكتاب ، ولعله كتاب «فتح المجيد» بعينه اذ ان العنوان الكامل لهذا الكتاب كما بدأ في طرة الكتاب هو « الحمد لله الذى وفقنا لطبع الدر النضيد والعقد الفريد ذكرى كل شقى وسعيد المسمى بفتح المجيد بشرح كتاب التوحيد » .

وقد طبعت مجموعة التوحيد النجدية في المطبع الانصارى بدهلى ولم يذكر تاريخ الطبع والمرجح انه مقارب لتاريخ نشر فتح المجيد فقد اطلعنا فى نهاية كتاب « احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام » لابن دقيق العيد المطبوع في نفس المطبعة سنة ١٣١٣ على اعلان يذكر « مجموعة التوحيد » ضمن كتب سلفية أخرى منها مجموعة الحديث ،كتاب الرد على المنطقيين « لابن تيمية » واعلام الموقعـــين عن رب العالمـــين لابن القيـــم

ومن شروح كتاب التوحيد التى نشرت في الهند كتاب « فتح الله الحميد المجيد في شرح كتـــاب التوحيد » للعلامة حامد بن محمد بن حسن بن محسن وقد طبع في مطبع القران والسنة في بلدة امر تسر ولم يذكر تاريخ طبعه ولكن احمد على يذكر انه طبع سنة ١٣١٥ (١١) .

ومما طبع في هذه المطبعة كتاب « البيان المبدى لشناعة القول المجدى » للشيخ ســــليمان بن سحمان ومعه كتاب « التحفة العراقية في الاعمال القلبية » لشيخ الاء لام ابن تيمية ولم يذكر تاريخ طبعـــــــه .

وبعد العقد الثانى وحتى العشرة الرابعة من القرن الرابع عشر تنشط دار اخرى في طباعة كتب علماء الدعوة وخاصة ردود الشيخ سليمان بن سحمان وهى المطبعة المصطفوية في بمبى ونعد من هذه

المؤلفات عشرة ردود وديوان الشيخ سليمان طبعت جميعها في هذه المطبعة وفي مطبعة اخرى اســمها المطبــــع المجتبــائي في دهلي (١٢) ٠

ونخلص من هذا الى ان نشر كتب العقيدة السلفية في الهند قد تركز غالبا في ثلاثة مواضع :

١ ـ مدينة دهلي وقد اسهمت فيها داران المطبع الانصاري والمطبع المجتبائي ٠

٢ ـ مدينة امر تسر وفيها مطبع القران والسنة ٠

٣ ـ مدينة بمبي وفيها المطبعة المصطفوية ومطبعة ديرسات ٠

وتبقى بعد ذلك كلمة اخيرة عن كفاءة هذه الدور في الطبـــاعة ومدى دقتها في اخراج ما نشرته من مؤلفات ٠٠ وهنا لابد لنا من ان نقر بان جميع هذه الدور كانت تطبع بطريقة الطباعة الحجرية ومطبوعاتها لذلك شبيهة بالمخطاطات ، فكما كان المخطوط يقع في بعض الاحيان فريســـة بـين ايدى النساخ فقــد كانت هذه الكتب ايضا تقاسي من اخطاء النساخ ، وقد كانت كثيرة ، وهي ناتجـــة في الغالب عن عجمة الناسخ الذى ينقل اللفظ من نسخة امامه دون ادراك لمعناه ، فهو في بعض الاحيان يمثل الكلام تمثيلا دون معرفة بمحتواه فكان ان اصيبت هذه الكتب بالتصحيف والتحريف وان كانت قد ادت في أول امرها خدمة جليلة ، غير ان هذه الكتب كان لابد لها ان تطبع مرة اخرى مصححة منقحة وكان ذلك قبيل توحيد الجزيرة وقد قامت بهــذه المهمة دور الطبـــاعة في مصر على مـــا ســــنفصله فيما بعــــد ٠٠

طبـــــاعة التراث في مصــر :

يـذكر سنوك هرجرونيه في كتابه عن مكة في اواخر القرن التاسع عشر ان علماء مكة قبيل انشاء مطبعة الولاية سنة ١٣٠٠ هـ كانوا يطبعون مؤلفاتهم في مصر ، كما يذكر هذا المستشرق الذى اقـام بمكة زهاء ستة اشهر من عامي ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ م بان معظم الكتب التى كان يقرؤها المكيون في ذلك الوقت كانت ترد اليهم من مصر (١٣) ، ولذلك فان من السهل ان نتصور ان الحركة الثقافية المصرية كانت تغطي الى حد كبير الحاجات العلمية لسكان الحرمين الشريفين على وجه الخصوص وسكان جزيرة العرب بشكل عام ، ولم تكن مطبعة الولاية كافية لتلبية احتياجات ســكان الحـرمين بل ظل هؤلاء يطبعون كتبا في مصر حتى بعد وجود هذه المطبعة وغيرها ٠ ولعل من اقدم ما طبع من مؤلفات علماء الحرمين هو كتاب «العقد الثمين في فضل البلد الأمين» للشيخ احمد الحضراوى (مطـ شاهين ١٢٧٨هـ) (١٤) وكتاب « الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح » لابن زيد عبد الرحمن بن عبد

العزيز المغربى نزيل مكة ومدرسها ، وقد طبع في بولاق سنة ١٢٨١ هـ وصححه الشيخ نصر الهوريني ويبدو أن الكتاب قد طبع في حياة مؤلفه (١٥) • وكتاب : جواهر الاكليـــل في مفاخر دولة الخديوى اسماعيل للسيد أحمد بن اسماعيل البرزنجى وقد طبع في الاسكندرية ، سنة ١٢٩١ (١٦) •

اما نشر كتب التراث بواسطة علماء الحرمين في مصر فقد كان ضئيلا نسبيا اذا ما قورن بتلك الحركة التى كانت تقودها مصر في هذا المجال • غير أن نشر التراث بواسطة علماء الحرمين لم يكن يعنى في ذلك الوقت أكثر من وضع الشروح والتقريرات والحواشى على بعض هذه الكتب • ثم طبعها في المطابع المصرية منسوبة الى مؤلفيها مهمشة بالمتون على جوانب الصـــفحات ، والأمثلـــة على ذلك حاشية أحمد زينى دحـــلان (ت ١٣٠٤) على الفية ابن مالك (طبعت في مصر ، المطبعة الســـنية سنة ١٣١٩) وهى حاشية لا تاخذ شكل الكتاب المتكامل فهى مثلا لا تبدأ بخطبة معينة وانما تبدأ بشرح البسملة مباشرة دون الحديث عن الشرح ذاته كما نجد عند كثير من العلماء • وهى لا تعنى بالافتتاح التقليدى الذى يبدأ به المؤلف عادة كتابه ، وان كان المؤلف في النهاية يختم هذه الحاشية بخـاتمة تقليـــدية • ومن هذه الكتب والحـــواشى « حاشـــية النفحات على شرح الورقـات » ، لمؤلفها السيد أحمد بن عبد اللطيـــف الخطيب المدرس بالمســـجد الحـــرام (ت ١٣٣٤ هـ) وهى حاشية على شرح الورقات للشيخ جلال الدين المحلى •

ومنها كتاب : « اعانة الطالبين على حل الفاظ فتح المعين » للشيخ ابى بكر عثمان بن محمد شطا البكرى وبهامشه « فتح المعين على قرة العـــين » لزين الدين المليبـــارى في الفقـــه الشـــافعى (بولاق ١٣٠٠) (١٧) • ولنفس المؤلف شرح بعنوان : « كفاية الاتقياء ومنهاج الاصفياء » شرح به المنظومة المسماه : هداية الاذكياء الى طريق الاولياء (في التصوف) لزين الدين المليبارى • طبعت ســـــــــــنة ١٣٠٢ •

تلك امثلة على بعض كتب التراث التى نشرت في مصر وكانت لعلماء الحرمين فيها يد تذكر •

ونضيف الى ذلك ما كان يطبعه بعض التجار من محبى عقيدة السلف ويوزعونه في الحـــرمين أو غيرهما من بلاد العالم الاسلامى ، ونخص بالذكر الشيخ عبد القادر بن مصطفى التلمسانى أحد تجار جدة ومن ذوى الاملاك في القطر المصرى فقد كان ، بعد اتصاله بالشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى قاضى المجمعة (ت ١٣٢٨ هـ) ونزيل مكة واعجابه بسلوكه وتعرفه على الدعوة السلفية ، كان من أكثر الناس حبا لنشر هذه الكتب وقد قص الشيخ محمد نصيف رحمه الله قصة اتصال التلمسانى

بالشيخ احمد بن عيسى ومناظرته له في مقدمته لكتاب الشيخ احمد بن ابراهيم بن عيسى « الرد على شبهات المستعينين بغير الله » (١٨) الذى تولى نشره وكان التلمسانى كما يقول الشيخ نصيف « أشعريا درس في الجامع الازهر كتب العقائد السنوسية » وبعد مناظرة له مع الشيخ دامت خمسة عشر يوما يوضح فيها الشيخ ابن عيسى أوجه الخلاف بين الدعوة السلفية وخصومها يتحول التلمسانى الى داعية من دعاة العقيدة ، ويطبع على نفقته كثيرا من كتب السلف يوزعها بالمجان ، يحصى الشيخ نصيف منها الكتب الآتية :

١ ـ الصارم المنكى في الرد على السبكى لابن عبد الهادى .

٢ ـ القصيدة النونية المسماة الشافية لابن القيم (١٩) .

٣ ـ الاستعاذة من الشيطان الرجيم لابن مفلح (٢٠) .

٤ ـ المؤمل في الرجوع الى الامر الاول لابن ابى شامة المؤرخ .

٥ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان لابن تيمية .

٦ ـ الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقى مع رسائل أخرى ضمن الرد الوافر (٢١) .

٧ ـ غاية الأمانى في الرد على شواهد النبهانى للسيد محمود شكرى الألوسى (٢٢) .

كما اشترى نسخا من تفسير الطبرى وزعها على بعض الناس . وقد شارك الشيخ محمد نصيف قبل توحيد الجزيرة الشيخ عبد القادر التلمسانى في بعض الكتب كما استقل بنشر بعضها ومنها كتاب « العلوم للعلى الغفار في صحيح الاخبار وسقيمها » للحافظ شمس الدين محمد بن احمد الذهبى (ت ٧٤٨) وقد نشر في مصر عن نسخة حجرية طبعت في الهند وصححه السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار وذلك سنة ١٣٣٢ هـ وكان السيد نصيف آنذاك وكيلا لا مارة جدة .

وبما ان المطابع المصرية كانت تلبى احتياجات سكان الحرمين من الكتب التى تتفق ومذاهبهم الفقهية وآراءهم الدينية ، كما كانت تشيع الكتب العامة في الحديث والفقه واللغة وغيرها ، فقد كان هؤلاء في وضع لا يحتاجون فيه الى القيام بطبع كتب التراث على نفقتهم الخاصة او نشرها بين ابناء

بلدتهم الا بقدر محدود • وعلى العكس من ذلك كانت الحاجة ملحة بالنسبة لسكان وسط الجزيرة وشرقيها لطبع الكتب السلفية ونشرها كما يبدو أن الفقه الحنبلي قد أصيب في العهـــد العثماني بركود شديد ، وكانت كتبه في حاجة الى البعث والنشر ويقص علينا هيرجرونيـــه في كتابه الآنـف الذكر كيف أن علماء الحنابلة في الحرم المكي قليلون اذا ما قورنوا بعلماء المذاهب الأخرى ويقول ان الانسان يحتاج الى سراج كي يبحث عن علماء الحنابلة في الحرم ويذكر انه لا يوجد في الحرم الا عالم او عالمان في الفقه الحنبلي وأن التلاميذ هم من القلة بمكان كبير ومعظمهم من وسط الجزيرة العربية • ويسجل لنا هذا المستشرق أن النص المقروء في حلقتهم هو كتاب الشيخ مرعي (٢٣)

ويقول السيد محمد رشيد رضا في ختام طبعة كتابي « المغنى والشرح الكبير » سنة ١٣٤٨ هـ واصفا حالة الحنابلـــة في عصره ومبينا فضـــــل الملك عبد العزيز في نشر هذا الأثر الضـــــخم : « ولولاه (الملك) لما اقدمنا ولا أقدم غيرنا على طبعه لان التجار لا يقدمون على طبع اثنى عشر مجلدا في الفقه الحنبلي لاحد فقهاء مذهب الامام أحمد مع قلة الحنابلة في الامصار وفقرهم وقلة من يعلم أن هذا الكتاب هو في فقه الاسلام في جملته لا فقه الحنابلة وحدهم » (٢٤) •

ولذلك كان نشر التراث السلفي والفقهي لسكان وسط الجزيرة وشرقها ضرورة من الضرورات فيه الدعوة والارشاد وتلبية الحاجة لكتب المذهب الحنبلي • وقد رأينا كيف أن الهند قد تولت طبع النشرات الاولى من هذا التراث كما تولت نشر مؤلفات علماء السلف القدماء كابن تيمية وابن القيم وجاءت مصر في المرحلة الثانيه بعد ان استقرت الطباعة فيها وتنوعت مطابعها • ولا نعلم على وجه الدقة متى بدأت مصر تطبع كتبا على نفقة تجار شرق الجزيرة لكن من اقدم المطبوعات التى اطلعنـا عليها كتاب « نيل المآرب بشرح دليل الطالب » للشيخ الامام عبد القادر بن عمر الشيباني على مذهب الامام احمد ، وهو شرح « لدليل الطالب » في الفقه الحنبلي للشيخ مرعي بن يوسف المقدسي وقد صدر هذا الشرح في مجلدين طبعا في مصر سنة ١٢٨٨ وكانت هذه الطبعة على ذمة الشيخ علي بن محمد ابن ابراهيم من اهالي الكويت •

وفي مطلع القرن الرابع عشر يبزغ نجم تاجر من أضخم تجار الجزيرة العربية واكثرهم تأثيرا في هذا المجال ذلك هو مقبل بن عبد الرحمن الذكير •• وقد انتدب الشيخ الذكير نفسه لنشر بعض كتب الفقه الحنبلي الضخمة وبعض كتب السلف في المطابع المصرية فنشر كتاب « كشـــاف القناع عن متن

الاقناع » للشيخ منصـــور بن يونس البهوتى الحنبلى وطبع فى المطبعة الشرقية سنة ١٣١٩ هـ ووزعه مجانا • وقد صدر فى اربعة أجزاء ضخام مجموع صفحاتها ١٧٩٢ صفحة وحشى بكتاب من اهم الكتب فى الفقه الحنبلى هو كتاب « شرح منتهى الارادات » لنفس المؤلف •

لقد نشر مقبل الذكير عددا غير قليل من كتب التراث نذكر منها مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية الحرانى (ت ٧٢٨) وقد بدىء بطبعها بمطبعة كردستان العلمية فى القاهرة ١٣٢٦ هـ فى خمسة اجزاء انتهت عام ١٣٢٩ هـ ويضم الجزء الخامس منها (وقد سمى ملحق الجزء الرابع) كتابين لشيخ الاسلام هما « بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية » و « شرح العقيـــدة الاصـــفهانيـــة » •

ومن مطبوعات مقبل الذكير الكبرى من كتب التراث كتاب « اعلام الموقعين عن رب العالمـــين » لابن القيم وكتاب « حادى الارواح الى بلاد الافراح » للمؤلف نفسه وقد ضمها مجلدان مقسومان الى نصفين النصف الاعلى « للحادى » والاسفل « للاعلام » ، ثم يكمل كتاب اعلام الموقعين بمجلـــد ثالث مســـتقل •

ونشر مقبل الذكير كتاب « الحيدة » للكنانى ضمن مجموعة فريدة من الكتب السلفية •

ومما طبع فى مصر من الكتب عام ١٣١٩ هـ على نفقة بعض التجار كتاب « التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب اهل العراق وتذكرة اولى الالباب فى طريقة الشـــيخ محمد بن عبد الوهـــاب » وقد نسب الكتاب الى الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانفـــق على طباعته « صالح بن دخيل الجار الله » الذى قدم له بمقدمة تحدث فيها عن معنى دعوة الشـــيخ ابن عبد الوهاب ونسبة الدعوة اليه وشىء من سيرته ومؤلفاته • وقد رجح الشيخ سليمان الصنيع فى ورقة الصقها بنسخته الخاصة من الكتاب أن يكون قد اشترك فى تاليف هذا الكتاب كل من الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب والشيخ حمد بن ناصر بن معمر والشيخ أحمد بن محمد بن غريب » وان نسبته الى الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب غلط من الطابع ووهم منه » ولعـــل النسخة التى طبع عنها كانت بخط الشيخ سليمان ابن المؤلف الشيخ عبد الله ولم يكن على الطرة اسم المؤلف « وذكر انه يوجد نسخ خطية من هذا الكتاب صحيحة فى الرياض ومنها نسخة عند الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب ، الذى افاده باسم مؤلفه ،

كما نقل عن الشيخ محمد بن مانع انه اطلع على أوراق ··· «وفيها نقول عن احمد بن محمد بن غريب وانه عند مقابلتها على هذا الكتاب وجدت مطابقة له حرف » (٢٥) ·

وتبرز في اواخر هذه الفترة التى سبقت توحيد الجزيرة العربية دار في مصر كان لها اكبر الاثر في نشر كتب العقيدة والفقه الحنبلى تلك هى مطبعة دار مجلة المنار التى كان يصدرها السيد محمد رشيد رضا ، وقد طبعت هذه الدار نوادر الكتب لعلماء أجلاء في مذهب الامام احمد واعادت طبع كثير من كتب الدعوة الاصلاحية واكثر هذه الكتب التى طبعتها هذه المطبعة واهمها هي ماأمر بطباعته المغفور له الملك عبد العزيز ال سعود قبل بلوغه مكه فقد بدىء في عام ١٣٤١ هـ بطبع كتاب المغنى والشرح الكبير وكتاب « المغنى » من تاليف موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠ هـ شرح به مختصر أبى القاسم عمر بن الحسين الخرقى في الفقه الحنبلى ، غير أن الكتاب لسعته يمكن ان يعد كتابا في الفقه الاسلامى عامة · وقد تحدث الشيخ محمد بهجت البيطار عن هذا الكتاب في مقال نشره في مجلة الاصلاح فقال : « ان كتاب المغنى تضمن فقه الصدر الاول للاسـلام وتابعيهم ائمة المذاهب الاسلامية في الامصار ··· وناهيك بكتاب كالمغنى يجد المتامل فيه يسر الدين وسماحته وسعة فقه علمائه ومجتهديه وقوة استنباطهم من النصوص ومراعاتهم للمصلحة العامة ·· وناهيك بشهادة سلطان العلماء في عصره ·· العز بن عبد السـلام » القائل عن كتاب المغنى انه لم يؤلف نظيره في الاسلام » (٢٦) · اما الشرح الكبير فهو لشمس الدين أبى الفـرج عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن قدامة المقدسى ، المتوفى سنة ٦٨٢ هـ شرح به متن « المقنع » لموفق الدين عبد الله ابن قدامة صاحب المغنى (٢٧) ـ هذا المتن ·

وكانت مطبوعات الملك عبد العزيز لكثرتها سببا في تطوير مطبعة المنار وتوسيع امكاناتها بعد ان كانت غير مستعدة استعدادا كافيا ·· يقول السيد محمد رشيد رضا في مقدمة المغنى « والمطبعة غير مستعدة لانجاز مطبوعات كبيرة فاخذنا في اعدادها لذلك وسيحصل المراد عن قريب » (٢٨) ·

ويشكو السيد محمد رشيد رضا من تاخر المطبعة بعد اندلاع الحرب وتدهورها وما رافق الحرب من غلاء اسعار الورق وتعذر وجود قطع الغيار ويعتذر عن التاخر في الطباعة حين قدم للجزء الثالث من كتاب « الفروع » في الفقه الحنبلى وكان قد طبع على نفقة الشـيخ عبد الله بن الشـيخ قاسـم آل ثانـي ·

حـركـة
احيـاء
التـراث

بعد طال الزمان بين البدء بطبع هذا الكتاب واتمامه ، فانه لما أرسل الينا كان ثمن الورق غاليا جدا بتاثير الحرب العظمى التى شغلت مصانع الورق وغيرها ، وغلافيها كل شيء ولا سيما المصنوعات وكثرت أجور النقل ، وكانت مطبعتنا قد رثت وتلفت حروفها وتعذر الاسراع في التجديد والاصلاح لما ذكرنا من الغـــلاء الفاحش ٠

ثم يتحدث عن تطوير المطبعة بعد أن عهد اليه الملك عبد العزيز بطباعة كتبه « ٠٠٠ ولكنني في المدة الاخيرة امكنني أن اكثر من عدد المصححين لكثرة شغل المطبعة بمطبوعات الامام العادل عبد العزيز آل سعود ٠٠٠ واحمد الله تعالى أن المطبعة قد تم استعدادها وصارت آلاتها تدار بالكهرباء منذ اكثر من عام وفي أثناء هذا العام طبع الجزء الثالث من « الفروع » وتصحيحه « مع عدة كتب لجلالة الملك ولمكتبة المنار طبع منها الوف كثيرة من النسـخ على حـين طبـع الجـزآن الاول والثاني في بضـــع ســـنين » (٢٩) ٠

الطبـــاعة في مكـــة

١ ـ المطبعـــة الأمـــيريـــة

دخلت الطباعة مكة سنة ١٣٠٠ وذلك بانشاء المطبعة الميرية فيها ،وكانت أول أمرها مطبعة حجرية ثم تطورت بعد ذلك الى الطباعة بالحروف ، وقد أسهمت « الميرية » في تغذية حركة النشر في البلاد فكان ان نشر بها علماء الحرمين مؤلفاتهم كما نشرت فيها بعض كتب التراث غير ان ما نشر من هذه الكتب كان قليلا نسبيا ، والظاهر انه كان ـ في معظمه ـ متونا صغيرة تستعمل في حلقات الدرس التي تعقد في الحرمين الشريفين ، كما أن المطابع المصرية كانت ـ فيما يبدو ـ تلبي حاجات القـراء من كتب التراث الكبرى ولم تكن المطبعة الاميرية قادرة بوسائلها المحدودة على منافسة تلك المطابع ٠ وفيما يلي قائمة مختارة تضم مجموعة من كتب التراث التي طبعتها الامـيرية رتبناها حسب مداخـل المؤلفين ، وقد اطلعنا على عدد من هذه الكتب فذكرنا معلومات وافية عنها وبعضها الآخر استفدناه من من معجم سركيس أو غيره فاثبتنا المعلومات التي وجدناها فيه ٠

قائمة ببعض كتب التراث التى نشرتها المطبعة الميرية بمكة (١٣٠٠–١٣٤٣ هـ)

١ ـ الابراهيمى : جمال الدين بن منصور (ت ٩٢٩)
ديوانه سنة ١٣٠٧ هـ ٠

٢ ـ البارزى : رسالة فى طواف الحائض ، على هامش : عمدة الابرار فى احكام الحج والاعتمار للونائى سنة ١٣٠٥ ، ص ١٢ ٠
ديوانه سنة ١٣٠٧ هـ ٠

٣ ـ الثعالبى : ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابورى (٤٢٩ هـ)
النهاية فى التعريض والكناية ٠
سنة ١٣٠١ هـ ، ص ٤٨ ٠
على هامشه : رسالة الفوائد العجيبة فى اعراب الكلمات الغريبة ، لمحمد امين بن عابدين ٠

٤ ـ الجيلانى : عبد القادر (٤٧١ ـ ٥٦١)
ـ الغنية لطالبى طريق الحق عز وجل ٠
سنة ١٣١٤ جزءان ، ٢٦ سم ٠

٥ ـ الذهبى : محمد بن احمد (ت ٧٤٨)
الطب النبوى ، بهامش تسهيل المنافع فى الطب والحكمة للشيخ ابراهيم ابن الازرق (؟)

٦ ـ السمهودى : نور الدين ابو الحسن على بن غسان بن احمد السمهودى (٨٠٤ ـ ٩١)
خلاصة الوفا فى اخبار دار المصطفى سنة ١٣١٦ ، ص ٢٨٦ ٠
بهامشه حسن التوسل فى آداب زيارة افضل الرسل للفاكهى ٠

٧ ـ السيوطى : جلال الدين (٨٤٩ ـ ٩١١)
١ ـ الاشباه والنظائر فى الفروع
بهامشه : المواهب السنية شرح الفوائد البهية سنة ١٣٣١
٢ ـ متشابه القرآن
سنة ١٣١١

حركة
احياء
التراث

٣ ـ نور اللمعـــة في خصائص الجمعـــة
بهامش صلح الجماعتين للشيخ احمد الخطيب المنكاباوى ، ١٣١٢ هـ ، ٦٨ ص
٢٦ ســـم •
٨ ـ ابن العربي : محيي الدين ابو بكـــر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطـــائي (ت ٦٣٨ هـ)
ـ الفتوحات المكية ، سنة ١٣٠٦ ، ١٤٤ ص ، ٢٨ سم •
٩ ـ الغـزالي : ابو حامد محمد الغزالي (٥٠٥ هـ)
ـ جـــواهر القـرآن ودرره
ســـنة ١٣٠٢ هـ •
ـ كتاب الاربعين في أصول الدين : وهو القسم الثالث من جواهر القرآن
ســـنة ١٣٠٢ ، ١٠٨ ص •
١٠ ـ الفاكهـي : جمـــال الدين (٨٩٩ ـ ٩٧٢ هـ)
ـ حسن التوسـل في آداب زيارة أفضل الرسل •
بهامش خلاصة الوفاء للسمهودى • ســـنة ١٣١٦ •
١١ ـ القـارى : نور الدين علي بن سـلطان (ت ١٠١٤ هـ)
١ ـ الحرز الثمين للحصن الحصين (حاشية على الحصن الحصين للنووى)
على هامش الدر الغـالي شرح ارشـــاد المتحلي من سنن النبي العـــالي
لقمـــان القونيـــــوى ، ســـنة ١٣٠٤ هـ •
٢ ـ الحزب الاعظم والورد الافخم لانتسابه واستناده الى الرسول الاكرم ،
طبـــع حجـــر ســـنة ١٣٠٧ هـ •
٣ ـ المسلك المتقسط في المنسك المتوسط شرح على لباب الناسك للشيخ رحمة الله
الســـندى (ت ٩٩٣)
بهامشه كتاب ادعية الحج والعمرة لقطب الدين النهروالي ســـنة ١٣١٩ ،
ص ٣٠٨ + ٤ ، ٢٦ ســـم •
٤ ـ المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية في علم تجويد القـــرآن المجيد مع شرح
لطـــاش كبـــرى زاده
ســـنة ١٣٠٣ ، ١١٩ ص •

١٢ ـ ابن القيم : شمس الدين ابو عبد الله الدمشقى الحنبلى (ت ٧٥١ هـ)
ـ التبيان في اقسام القرآن . سنة ١٣٢١ هـ .

١٣ ـ الكنانى : عبد العزيز بن يحيى بن مسلم
ـ الحيدة ، سنة ١٣٣٩ هـ ، ٩٦ ص ، ٢٠ سم .

١٤ ـ الكيلانى : ابو الحسن على بن هشام
ـ شرح التصريف العزى
بهامشه التصريف المذكور . سنة ١٣٠٢ هـ ، ص ٤٠ .

١٥ ـ ابن مالك : جمال الدين ابو عبد الله محمد بن مالك
ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو .
محلى بهوامش وفوائد منتخبة من شرحى المتن المذكور للمصنف
والعلامة الدماميني .
سنة ١٣١٩ هـ ، ٨٨ + ٥ ص .

١٦ ـ ابن المقرب :
ديوانه ، سنة ١٣٠٧ هـ ، ١٢٠ ص .

١٧ ـ النووى : محى الدين ابو زكريا يحيى بن شرف بن برى النووى الشافعى .
ـ الايضاح في المناسك على مذهب الامام الشافعى .
سنة ١٣١٦ ، ٣٦ ص ، ٢٦ سم .
ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين .
سنة ١٣٠٢ هـ ، وسنة ١٣١٢ هـ ، ص ١٢٤ .
ـ منهاج الطالبين وعمد المفتين .
بهامشه : منهج الطلاب لشيخ الاسلام زكريا الانصارى . سنة ١٣٠٦ هـ .

١٨ ـ النهروالى : قطب الدين محمد بن احمد بن محمد (ت ٩٩٠ هـ)
ـ ادعية الحج والعمرة ، ١٣١٩ هـ ، ٣٠٨ ص .
بهامش المسلك المتقسط في المنسك المتوسط لملا على القارى .

حركة
احياء
التراث

١٩ ـ الونـــائي : علي بن عبد البر الشافعي (ت ١٢٠٦ هـ)
ـ عمدة الابرار في أحكام الحج والاعتمار
يليه نبذة في مناقب المؤلف المذكور ، ورسالة في طواف الحائض لـ [ابن] البارزي (؟) ، وبهامشه مختصر الايضاح لابن حجر الهيثمي ٠
ســـــنة ١٣٠٥ هـ ، ١٢ ص ٠

٢٠ ـ الهيتمي : ابن حجر : شهاب الدين احمد بن حمد بن علي (ت ٩٧٤ هـ) ٠
ـ مختصر الايضـــــاح (في الفقـــه) ٠
على هامش عمدة الابرار في أحكام الحاج والاعتمار ٠
ســـــنة ١٣٠٥ هـ ، ١٢ ص ٠

٢ ـ المطبعـــة الماجديـــة :

في سنة ١٣٢٧ هـ انشا محمد ماجد الكردي مطبعة الترقي الماجدية ٠ وقد أسهمت هذه المطبعة في تغذية الحاجة الأهلية لطباعة الكتب وكانت معظم كتبها رسائل صغيرة وفتاوى خاصة لعلماء الحرمين وبعض الاجوبة والردود ٠ وفي سنة ١٣٣٢ هـ أصدرت الماجدية بيانا باسماء « بعض الكتب العربية المطبوعة بالاحرف بمطبعة الترقي الماجدية العثمانية بمكة المحمية والموجودة بها ومن أراد شيئا منها فليخابر صاحبها محمد ماجد الكردي المكي » ٠ اشتمل هذا البيان على اكثر منتسعين مؤلفا لعله يشكل معظم ما طبعته هذه المطبعة خلال الخمس سنوات الاولى من عمرها ٠ وعندما نفتش بين هذا العدد من الكتب عن نصيب كتب التراث نجد عددا قليلا منها اذ أن معظـــم ما نشرته هو فتاوى تختص ببعض الامور الفقهية وعلى رأسها مسائل الحج والعمرة ومعظم هذه المؤلفات كتبها علماء معاصرون او بعض المفتين السابقين لبلاد الحرمين الشريفين ٠ ولعل منأهم ما نشرته هذه المطبعة منكتب التراث مايأتي :

ـ متن التهذيب في المنطق للسعد التفتازاني ٠
ـ الاشباه والنظائر في اصول الفقه لجلال الدين السيوطي ٠
ـ أخصر المختصرات على مذهب الامام احمد بن حنبل للبلباني ٠
ـ الناوة المجون لزيارة الحجون للفيروز ابادي ٠

- المسلك المتقسط في المنسك المتوسط ، وهو شرح ملا على القارى على لباب المناسك للشيخ رحمة الله السندى ، وبهامشه كتاب ادعية الحج والعمرة وما يتعلق بهما جمع العلامة قطب الدين الحنفي •

والناظر في مجموع ما نشرته المطبعتان من كتب التراث يجد ان كتب الفقه (ويدخل فيها كتب المناسك والادعية) هي اكثر الكتب رواجا عند المكيين • تليها كتب النحو والصرف والتجويد والتصوف ثم متفرقات في التاريخ والحديث والبلاغة •

وهذا ينسجم مع ما لا حظه المستشرق هير جرونيه من أن دروس الفقه في المسجد الحرام هي اكثر الدروس اهمية ، ثم تليها الدروس الاخرى في العلوم المختلفة •

وبناء على ما اطلعنا عليه من مطبوعات الاميرية والماجدية فاننا نلاحظ أن الكتب الاصول القديمة في الفقه والحديث واللغة لم يطبع منها شيء في هذه الفترة ، وأن جل ما طبع هو من مؤلفات القرون المتاخرة ، وقد طبعت بعض هذه الكتب ضمن الحواشي او على هوامش الشروح التى الفها علماء الحرمين ، ومن الملاحظ أن كتب المتون ثم شروح هذه الكتب وحواشيها التى وضعت عليها هي اكثر الكتب رواجا بين القراء وتلك هي بقايا لثقافة عصور الانحدار وخاصة العصر العثماني حيث يشيع التقليد وتنشط الخرافة وينعدم الابتكار والتجديد •

اما مناهج النشر التى اتبعت في هذه الكتب فهي لا تحمل اى سمة من سمات التحقيق بل تسير على عادة المطابع في ذلك العصر فيناط « التصحيح » فيها بمصحح المطبعة وغالبا ما يذكر اسم هذا المصحح في ختام الكتاب وخاصة في المطبعة « الميرية » من دينية وتاريخية ولغوية وغيرها •• ومع اننا لا نعرف شيئا عن ثقافة المصححين الا أننا نظن أن التصحيح في عرف المطبعة لم يكن يتعدى المقابلة على الاصل المخطوط ، وفي كثير من الاحيان يكون الاصل مغلوطا فتنتقل الاخطاء برمتها الى المطبوع او تكون النسخة المخطوطة رديئة الخط فيجتهد المصحح بنقلها حسب الطاقة ويدخل فيها كثير من الاخطاء ، واظهر مثال على هذه الاخطاء طبعة ديوان ابن المقرب التى ظهرت سنة ١٣٠٧ فقد ذكر محقق الديوان أن النسخة المطبوعة بمكة يكثر فيها الخطا الى حد يشكك في اعتمادها (٣٠) •

تلك هي اهم ملامح حركة احياء التراث في الجزيرة العربية قبل توحيدها على يد المغفورله الملك عبد العزيز آل سعود ،وهي مرحلة مهدت لحركة اكثر نشاطا وازدهارا ، واتصالا بوسائل التحقيق العلمية ، بعد توحيد الجزيرة وتكوين المملكة العربية السعودية •

د • أحمد محمد الضبيب

المصـــــادر

- فصل من كتاب حركة احياء التراث في المملكة العربية السعودية (سيصدر قريبا)

(١) احمد علي « ذكريات » المنهل م ١٨ جـ ٤ ص ٣١ ربيع الثاني ١٣٧٧ هـ .

(٢) المصـــــدر الســـــابق .

(٣) عمر عبد الجبار : دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام ط . اولى ١٣٧٩ هـ ، ص ٢١

(٤) عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد ط . اولى ١٣٩٢ هـ ، ص ١٩٣

(٥) نفـس المصـــــدر ، ص ٢١٣ .

(٦) نفس المصـــــدر ، ص ٩٥ .

(٧) نفس المصـــــدر ، ص ١٩٥ .

(٨) نفس المصـــــدر ، ص ٢٢٦ .

(٩) عمر عبد الجبار : دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام ، ص ٣٨ .

(١٠) آل سعود ص ٢٠٤ نقلا عن مسعود عالم الندوى في كتابه سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(١١) نفس المصدر وقد جاء اسم المؤلف عنده «حمد» والصحيح ما ذكرناه . كما هو مثبـــت على صفحة العنـــــوان .

(١٢) بعض المؤلفات التي طبعت في المصطفوية غير مؤرخة مثل :

- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الامام ونسبه الى تكفير اهل الايمان والاسلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .
- كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الاوهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب للشيخ سليمان بن سحمان .
- الاسنة الحداد في رد شبهات علوى الحداد .

ومن الكتب المؤرخة الكتب الآتية وكلها للشيخ سليمان بن سحمان :

- تأييد مذاهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف ودعى باليماني شرف سنة ١٣٢٣ هـ .
- كشف الشبهات التي أوردها عبد الكريم البغدادي في حل ذبائح الصلب وكفار البـــوادي ســـــنة ١٣٣٥ هـ .
- تبرئة الشيخين الامامين من تزوير أهل الكذب والمين سنة ١٣٣٥ هـ .

المصـــــادر

- الرد على من انكر الجهر بالتذكر بعد الفرائض سنة ١٣٣٥ هـ ·
- الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سنة ١٣٣٥ هـ ·
- عقود الجواهر المنضدة الحسان - ديوان الشيخ سليمان بن سحمان سنة ١٣٣٧ هـ ·
- اقامة الحجة والدليل وايضاح المحجة والسبيل على ما موه به أهل الكذب والمين من زنادقـــة البحرين - المطبع المجتبائى فى دهلى سنة ١٣٣٢ هـ ·

(١٣) انظـــر الترجمة الانجليـــزية لكتـــابه بعنـــوان ؟؟

Mekka in the Latter part of the 19th Century th by J.H. Munahan Leyden : E.J. Brill Ltd london - Luzac & Cer. 1931 : p. 165

(١٤) سركيس ٨٢٥/١ · (معجم المطبوعات العربية والمصرية)

(١٥) طبع الكتاب طبعة اخرى على هامش صحاح الجوهرى فى مصر سنة ١٢٩٢ ·

(١٦) سركيس (نفس المصـــــدر) ٥٤٧ ·

(١٧) سركيس (نفس المصـــــدر) ٥٧٨/١ ·

(١٨) يذكر الشيخ محمد نصيف فى هذه المقدمة ان سبب اتصاله بالدعوة السلفية هو اتصاله بهذا الشيخ ، ويذكر ان الشيخ ابا بكر خوقير الكتبى ممن تاثروا به ايضا ·

(١٩) طبعت بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣١٩ ·

(٢٠) عنوانه الكامل كما ورد على طرة الكتاب : كتاب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وبيان وسوسته وخدعه ، للشيخ الامام تقى الدين ابى اسحاق ابراهيم بن العلامة ابى عبدالله محمد ابن مفلح المقدسى الحنبلى ، وقد طبع فى مطبعة محمد افندى مصطفى بمصر سنة ١٣١١ هـ ·

(٢١) لم نطلع على هذه المطبوعة ولعلها النسخة التى وصفها زهير الشاويش فى تحقيقـــه الجـــديد للرد الوافر وقال انها طبعت عام ١٣٢٩ هـ فى مطبعة كردستان العلمية وبلغ عدد صفحاتها ٩٩ صفحة وهى كثيرة الأخطاء مليئة بالتصحيف والتحريف ·

(٢٢) هو رد على كتاب يوسف بن اسماعيل النبهانى بعنوان « شواهد الحق » ·

(٢٣) هيجرونية : المصدر السابق ص ١٨٢ · والشيخ مرعى هو مرعى بن يوسف الكرمى المقدسى نزيل القاهرة ت ١٠٣٣ هـ واسم كتابه «دليل الطالب» فى فقه الامام احمد ·

(٢٤) المغنى والشرح الكبـــير ٧١٦/١٢ ·

(٢٥) نسخة الشيخ سليمان الصنيع من الكتاب · محفوظة فى مكتبة جامعة الرياض ·

(٢٦) محمد بهجت البيطار : نظرات فى كتاب كشف الارتياب ، مجلة الاصلاح ١٢/١ ·

(٢٧) طبع « المقنع » على نفقة الشيخ عبد الله بن قاسم ال ثانى ، مطبعة المنار سنة ١٣٢٣ هـ ·

(٢٨) المغنى والشرح الكبــــير ١٥/١ ·

(٢٩) الفروع وتصحيحـــــــــه جـ ٣ ص ٦ ·

(٣٠) ديوان ابن المقرب ، تحقيق وشرح عبد الفتاح الحلو ، القاهرة ١٣٨٣ هـ /١٩٦٣ م ص ١٢ ·



● اقدم نقش عربى بعد الهجرة النبويه الشريفة ، وهو عبارة عن شاهد قبر من الحجر الجيرى من مصر باسم عبد الرحمن بن خير الحجرى ، وقد نسبه الهوارى ابى حجر الأزد استنادا على ما جاء في ابن دقماق (حـ ٤ ص ١٢٥) وخطط المقريزى (حـ ١ ص ٢٠٦) من أن طائفة من الأزديين من الحجريين من العبو من الأزد كانت في جيش عمرو بن العاص عند رجوعه من الاسكندريه ونزوله الفسطاط في سنة ٢١ هـ

حركة إحياء التراث

بعد توحيد الجزيرة العربية*

« كتب الجغرافية » (القسم الثالث)

(٨)

د. أحمد بن محمد الضبيب



ومما نشره حمد الجاسر في مجلة « العرب » كتاب « الأماكن » لمحمد بن موسى الحازمي الهمذاني (ت ٥٨٤هـ) بعنوان : « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » على حلقات تجاوزت الخمسين ، شاب ترقيمها بعض الاضطراب الناتج عن السهو[1]. وقد بدأ نشر هذه الحلقات في المجلد الرابع عشر (ج ٣ و ٤ رمضان وشوال

١٣٩٩هـ/سبتمبر ١٩٧٩م ، ص ص ٢٤٧ ـ ٢٧٧) واستمرت « العرب » تنشر حلقات من هذا الكتاب إلى حين إعداد بحثنا هذا للنشر ، وآخر ما اطلعنا عليه من حلقاته هي الحلقة ٥٧[٢].

لم يقدم الجاسر لهذا الكتاب بمقدمة معتذراً بأنه سبق له الحديث عنه وأنه كان قد أعد الكتاب للنشر ولكن حوادث لبنان أتت على ما كان أعده ، وهو الآن يعود إلى الكتاب فإذا تم له ما أراد وضع له مقدمة ونشره مستقلاً .

ولقد سبق للجاسر أن تحدث عن الكتاب حديثاً مسهباً وذلك في بحث كتبه بعنوان « المؤتلف والمختلف في أسماء المواضع بين الاسكندري والحازمي » نشر على حلقات في مجلة « العرب »[٣] . وكان الغرض من بحثه تحقيق ما ذكره ياقوت الحموي في كتاب « معجم البلدان » من أن الحازمي أغار على كتاب نصر الاسكندري فنسبه لنفسه ، وتساءل الباحث هل ما ذكره ياقوت صحيح ؟ وما ميزة كل واحد من الكتابين ؟ وما أوجه التشابه بينهما ، ثم ترجم لنصر الاسكندري ووصف نسخة كتابه المسمى « كتاب الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأشعار » وهي نسخة يحتفظ بها المتحف البريطاني ، وذكر بدايتها وآخرها ، ثم ترجم للحازمي وذكر مؤلفاته ومعظمها يتصل بعلم الحديث ، وكثير منها وصل إلينا .

وتحدث عن كتاب « الأماكن » للحازمي ، وذكر الغرض من تأليفه ، كما ذكر مصادره ومصادر الاسكندري ، وقارن بين الكتابين من حيث المادة ، وأورد نقد ياقوت للحازمي في مواضع من كتابه ، وتحدث عن نسخة كتاب الحازمي ، وذكر أنها موجودة في مكتبة « لا لا » في السليمانية في استانبول ، وهي مخطوطة سنة ٦٢٠هـ وكاتبها يدعى أبو بكر بن محمد بن عباس الحنفي . ومع حسن خط الكاتب إلا أن الكتاب لا يخلو من تصحيف وغلط ويقع في ١٩٧ ورقة ، كما نشر صوراً لطرة الكتاب وللورقة الأولى منه ، وخلص من بحثه إلى أن « الحازمي » ، رحمه الله ، يتفق في كتابه مع نصر اتفاقاً يكاد يكون حرفياً ، مما يحمل على الجزم بأنه اطلع على كتاب نصر غير أنه يمتاز عليه بأن قسماً كبيراً من المواضع أورد الحازمي تحديدها نقلاً عن علماء ذكر أسماءهم ، واستشهد بأشعار كثيرة ، واطلع على كتب كثيرة لا نجد لها في كتاب نصر رحمه الله

ذكراً »[٤] . وكرر قولاً له بأنه « ربما أخذ الحازمي كتاب نصر فأراد أن ينسب ما فيه من أقوال إلى أصحابها ولكنه لم يتمكن من ذلك إلا في معظم الكتاب لأننا نجد آخره خالياً من الشواهد ، ومن نسبة الأقوال إلا ما ندر »[٥].

والمطلع على ما نشره الجاسر من هذا الكتاب في مجلته . لا تفوته ملاحظة العناية الفائقة التي أولاها لهذا النص حتى يخرج بالصورة المثلى . فقد كلف نفسه ضبط كل حروف النص (ما عدا حروف العلة بالطبع) ، ولم يقتصر على ذلك بل ضبط كلمات الهوامش ضبطاً كاملاً . وتميزت الهوامش بالمراجعة على كتاب « نصر » بالدرجة الأولى ، مبيناً الفروق بين النصين ، مثبتاً التطابق ، ومضيفاً الزوائد ، وموضحاً ما جاء في كتاب الحازمي بالمعنى ، وما ورد بالنص . هذا إلى جانب مراجعة المواد على الكتب التي تتصل بها ككتب البلدان وفي مقدمتها كتاب ياقوت ، وكتاب البكري ، وكتاب الهمداني عن « بلاد العرب » وكتاب « المناسك » المنسوب للحربي ، وكذلك كتب التواريخ والسير والرجال ، وبعض كتب الأدب « كالأغاني » مع تحقيقات تتناول تصحيح ما ورد في الكتاب من أخطاء ، وإفاضة في ذكر اختلافات العلماء وآرائهم حول بعض المواضع[٦] ، ومحاولة ربط هذه المواضع بمسمياتها ومواقعها في العصر الحديث وذكر للمسافات بينها وبين ما يقاربها من المواضع المشهورة .

ومن النصوص التي استخلصها حمد الجاسر من الكتب مما يتعلق بالمواضع . ما جمعه من نصوص لأبي علي الهجري في تحديد المواضع ، وأصدره مستقلاً في كتاب أسماه « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » وذلك عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م[٧] .

ففي هذا الكتاب الذي بلغت صفحاته ٤٤٣ صفحة يقدم لنا المؤلف ما وصل إلى علمه مما كتبه أبو علي الهجري في تحديد مواضع الجزيرة العربية معتمداً بالدرجة الأولى على كتابه المخطوط « التعليقات والنوادر » ، ثم على ما ورد في « معجم ما استعجم » لأبي عبيد البكري ، وما ورد في كتاب « وفاء الوفا » للسمهودي . وإذا كانت النصوص المنتزعة من كتاب « الهجري » ليست موضع خلاف من حيث النسبة إلى المؤلف الأصلي فإن نسبة النصوص في كتاب أبي عبيد البكري « معجم ما استعجم » تثير معضلة كبيرة . ذلك أن أبا عبيد البكري ينقل مادته عن شخص آخر غير « الهجري » ، ذلك هو « السكوني » مع أن السمهودي ينقل المادة نفسها باختصار في كثير من المواضع وينسبها إلى « الهجري » . وهذا ما جعل باحثاً مثل الدكتور صالح العلي يتردد في نسبة هذه المادة إلى « الهجري » ، ففي بحث له مطول بعنوان « المؤلفات

العربية عن المدينة والحجاز » نشره في المجلد الحادي عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي ونقل حمد الجاسر ما يخص القضية منه يقول[8]:

« إن نطاق معلومات الهجري ومادته التي أوردها السمهودي تشبه في جملتها وتفصيلها المادة التي أوردها « البكري » عن « السكوني » ثم يذكر ثلاثة فروض:

١ ـ أن المؤلف الذي يسميه السمهودي « الهجري » هو نفسه الذي يسميه البكري « السكوني » ، غير أنه يتحفظ على ذلك بأن السمهودي يعرف « السكوني » ، وقد نقل عنه في أحد المواضع عند الكلام على غيقة (ج ٢ ص ٣٥٤) ، مما يدل على وجود هذا الراوية واختلافه عن الهجري . كما أنه لا علاقة بين النسبة إلى السكون « القبيلة » وهجر « الموضع » .

٢ ـ أن « الهجري » غير « السكوني » وأن كلا منهما روى عن مصادر أقدم . والشطر الأول معقول ، أما الثاني فهو يضعنا أمام إشكال آخر ، وهو أن مؤلفي المعاجم الجغرافية الثلاثة (البكري ، وياقوت ، والسمهودي) يعرفون المصادر الأولى ، ولا يعقل أن يجهلوا اسم هذا المصدر الأول وينسبوا المعلومات إلى الراوية الثاني عنه .

٣ ـ أن « الهجري » غير « السكوني » وأن أحدهما روى معلوماته عن الثاني . وهنا لابد من دراسة دقيقة لكتب التراجم ، فالهجري ، معروف أما « السكوني » فلم تعرف له ترجمة ، أو اسم كتاب مع أن ياقوت عده واحداً من ستة اعتمد عليهم من طبقة أهل الأدب الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية ، والمنازل البدوية وقد نقل عنه نصوصاً كثيرة تتعلق بجغرافية الجزيرة ، وأماكنها . ثم صنف صالح العلي ما نقله عنه ياقوت حسب المواقع ، ووجد أنه يتفق مع البكري والسمهودي في نقله عن « السكوني » بعض المعلومات كما أنه يختلف عنهما من حيث إنه لا ينقل عن « السكوني » معلومات أخرى . كما ينقل عن « السكوني » نصوصاً تتعلق بمناطق لم ينقل منه عنها « البكري » و« السمهودي » . وقد حاول صالح العلي أن يجد أسباباً لكل ذلك ، فصّلها في بحثه ولكنه في النهاية مال ـ فيما يبدو ـ إلى وجود مؤلف يدعى « السكوني » هو « من أدق وأشمل من وصف جزيرة العرب عامة ومنطقة الحجاز وما يجاورها خاصة ، وأن دراسته لا تقل ، في مستواها ، عن وصف ابن الحائك الهمداني لليمن في كتابه « صفة جزيرة العرب »[9] .

غير أن الجاسر يجزم بنسبة تلك النصوص إلى « الهجري » دون « السكوني » اعتماداً على الآتي(١٠) :

١ ـ « أن الهجري على درجة من الشهرة ، وفي منزلة من العلم ، تحملان على الحكم بأنه أرسخ باعاً وأعمق معرفة من السكوني ... ولو كان « السكوني » على درجة من العلم وفي مكان من الشهرة لما خفي على المتقدمين من علماء الأندلس وغيرهم » .

٢ ـ أن « الهجري » كان ذا صلة قوية بالأمكنة التي سبقت الإشارة إليها فقد عاش داخل الجزيرة وهو من أهلها واستوطن المدينة .. بخلاف « السكوني » الذي لا نعرف عنه شيئاً من هذه الناحية » .

٣ ـ « أننا نجد في تلك النقول نصوصاً منسوبة إلى رواة تلقى عنهم « الهجري » وذكرهم في نوادره مثل الخلصي وغيره » .

٤ ـ « أن عدم وجود هذه النصوص في كتابه « النوادر » لا يكفي دليلاً على كونها ليست من كلامه فالنوادر لم تصل إلينا كاملة ومؤلفاته هو لم تصل إلينا » .

٥ ـ أن السمهودي ، وهو عالم المدينة ، قد اطلع على كتب كثيرة تتعلق بها ، وأصبحت الآن مفقودة ، حيث احترق قسم منها مع كتبه التي كانت داخل الحرم المدني في سنة ٨٨٦هـ فاحترقت باحتراقه ، هذا العالم نص صراحة على أنه نقل تلك النصوص من كتاب « الهجري » .

ثم يشير بعد ذلك إلى أن السمهودي في « وفاء الوفا » قال : « قال الهجري : وجدت صفة الجبلين الأشعر والأجرد إلخ ... » ثم أورد جملة ما أورده « البكري » منسوباً إلى « السكوني » كما يفهم من كلامه . قال الجاسر : « وتلك العبارة توهم بأن الهجري نقل الوصف نقلاً ولم يكن عن مشاهدة .. ولكن هذا لا يكفي دليلاً للحكم بأنه نقل عن « السكوني » .

والقارىء لموقف الجاسر هنا سرعان ما يتذكر جهوده في نسبة بعض النصوص التي نقلها أبو عبيد البكري في « معجم ما استعجم » ونسبها فيه إلى السكوني ، نسبة تلك النصوص إلى أبي إسحاق الحربي في كتاب « المناسك » . إذ نفى ذلك عن « السكوني » وأثبت صحة نسبة الكتاب إلى الحربي بأدلة استنتاجية تشبه هذه الأدلة ، غير أن من

الملاحظ أن المحقق ، في ذلك الموضع ، لا يعتد بقول الإمام السمهودي في نسبة بعض الأقوال إلى محمد بن أحمد الأسدي قائلاً بأن « السمهودي ليس حجة » وهو هنا في نسبة الأقوال إلى الهجري نجده يعتد برأي السمهودي واصفاً إياه بأنه « عالم المدينة الذي اطلع على كتب كثيرة تتعلق بها » .

ومع أنه من الصعب إنكار ما ذكره البكري في مقدمة كتابه « معجم ما استعجم بقوله : « وجميع ما أورده في هذا الكتاب عن السكوني فهو من كتاب أبي عبيد الله عمرو بن بشر السكوني في جبال تهامة ومحالها يحمل جميع ذلك عن أبي الأشعث عبد الرحمن بن عبد الملك الكندي عن عرام بن الأصبغ السلمي الأعرابي[11] » إلا أن موقف الجاسر في الموضعين لا يعدو موقف المجتهد الذي يخضع رأيه للقبول والرفض ، ولكنه مع ذلك موقف عالم مدقق يعمل فكره ويفيد من جميع مصادره في تحقيق نسبة النصوص إلى أصحابها ، حتى وإن تراكمت ، في سبيل معرفة مؤلفها الحقيقي ، كثير من السحب والغشاوات .

قَسّم الجاسر كتابه « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » قسمين جعل الأول منهما حديثاً عن الهجري حياته وعصره وموطنه وسكناه المدينة ، ثم تحدث عمن تلقى عنهم العلم وذكر أنه ، فيما يبدو ، لم يتلق العلم على علماء مشهورين باستثناء ابن الأعرابي وأبي ذكوان (من نحاة القرن الثالث) ، ولكنه أخذ معظم علمه في كتاب « التعليقات » عن الأعراب الرواة وأصحاب النوادر وغيرهم ، كما أخذ عن المؤلفات . ثم تحدث عمن أخذ عن الهجري من علماء المشرق ، وبعض علماء الأندلس وأفرد حديثاً عن نسبة ما ذكره البكري في معجمه إلى أبي عبيد الله عمرو بن بشر السكوني ، وأورد أقوال الباحثين المحدثين صالح العلي ، وحسين نصار ، وعقب على ذلك برأيه في نسبة النصوص المذكورة إلى الهجري على نحو ما أوردنا .

ثم تحدث عن عناية علماء الهند بالهجري ، وخاصة بالقطعة الهندية ، من كتاب « التعليقات والنوادر » وأتبع ذلك بالحديث عن مؤلفات الهجري . وعلى رأسها كتاب « التعليقات والنوادر » وهو الكتاب الذي عرف به الهجري ويعد أهم أثر له (ص ١٠٣) فمهّد لذلك بذكر من ألف في النوادر من الأعراب والعلماء ، متحدثاً عن مصادر هؤلاء المؤلفين ثم تكلم عن مادة الكتاب ، وأورد بعض نصوصه في النوادر ، واللغة ، والإبل والخيل والسهام والشتاء وبعض الطرائف ، ثم تحدث عما بقي من تراث

الهجري المخطوط وهو قطعتان من كتاب « التعليقات والنوادر » كانتا في القديم في خزائن كتب الفاطميين بقيت إحداهما في مصر والأخرى انتقلت إلى الهند ، وكاتبهما واحد . ثم وصف النسختين فالقطعة الهندية المحفوظة في مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكته ، تقع في ٥١٦ صفحة (كذا) ويرى الكاتب أنها الجزء الأول من الكتاب . وذكر الفروق بين القطعتين . وتحدث عن القطعة المصرية ، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة ، ورقمها في فهرس كتب اللغة ٤٣٢ وتقع في ٤٨٥ صفحة ، وبعد أن وصفها أجمل القول بأن القطعتين متماثلتان في الكتابة ، وعدد السطور ، والكاتب ، وقد تكونان من مخطوطات القرن الرابع الهجري أو الخامس ، وقد يكون كاتبهما ممن عاش في كنف الفاطميين .

ثم أفرد فصلاً للحديث عن نهاية الهجري والخلاف على موته في المصادر المختلفة . أما القسم الثاني من كتابه فقد جمع فيه من أسماء المواضع ما أورده « الهجري » في القطعتين المصرية والهندية من كتاب « التعليقات » ، وكذلك ما أورده « البكري » و« السمهودي » مما نسب إلى « السكوني » عند الأول ، وإلى الهجري عند الثاني ، ورتب المادة على حروف المعجم ، وأتبع ذلك بفهارس لأسماء المواضع بعد فهرس الموضوعات .

ب ـ كتب المنازل وطرق الحج

وإلى جانب ما نشره حمد الجاسر من النصوص الجغرافية التي أشرنا إليها نجده يهتم اهتماماً خاصاً بكتب المنازل ، وطرق الحج ، وما ألف فيها من قبل العلماء منذ القدم . ولقد قدم الجاسر بحثاً مسهباً عن كتب المنازل بعنوان : « كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب » ألقاه في الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية المعقودة في رحاب جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) في ٥ ـ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ ٢٣ ـ ٢٨ أبريل ١٩٧٧م ونشر في المجلد الأول من أعمال تلك الندوة[١٢] عرض فيه الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

ويتضح اهتمامه بهذا الموضوع من إعادته لنشر كتاب عبد القادر بن محمد الجزيري (ت ٩٧٧هـ) بعنوان : « الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة » ، وكان الكتاب قد طبع في السابق بعنوان : « درر الفرائد المنظمة في أخبار

الحاج وطريق مكة المكرمة » على نفقة جماعة من أهل الحجاز وذلك في القاهرة سنة ١٣٨٤هـ على نسخة استنسخها الشيخ محمد نصيف في جدة من مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وقرأها عبد الرزاق حمزة سنة ١٣٦٥هـ ، وقابلها على أصلها أحمد ياسين الخياري مع الشيخ حمدي الخربوطلي مدير مكتبة عارف حكمت سنة ١٣٦٧هـ ، ثم تداول الإشراف عليها الشيخ محمد نصيف مع طائفة من أهل الفضل ، منهم سليمان الصنيع مدير مكتبة الحرم المكي ، ومحمد سعيد العمودي مدير مجلة الحج بمكة ، كما قورنت بأصل آخر مخطوط في دار الكتب الأزهرية[١٣] .

ولقد تحدث حمد الجاسر عن هذه الطبعة مرتين الأولى في بحثه عن المنازل الذي أشرنا إليه آنفاً فوصف هذه الطبعة بأنها « مشحونة بالأخطاء إذ الأصل وهو بخط المؤلف فيما يظهر ـ ليس متقن الخط وكثير من الكلمات فيه خالية من الإعجام »[١٤] ، كما وصفها بأنها خالية من الفهارس المفصلة ، وأشار إلى أن « الأسوأ من كل ذلك نقص المطبوعة ، فبينما نجدها تقف في ذكر إمارة الحاج عند ذكر أمراء الحاج سنة ٩٥٧هـ نجد نسخة دار الكتب يمتد الكلام فيها إلى سنة ٩٦٦هـ في ذكر أمراء الحاج »[١٥] . والمرة الثانية في مقدمة نشرته لكتاب الجزيري ، فأشار إلى ما سبق ذكره ، واعتذر للشيخ محب الدين الخطيب الذي أشرف على هذه الطبعة بأن ذلك حدث بسبب تقدم سنه وتراكم الأعمال عليه[١٦] .

نشر حمد الجاسر كتاب « الدرر الفرائد » اعتماداً على ثلاث نسخ هي :

١ ـ نسخة جامعة القرويين في مدينة فاس رقم ٤٠ ـ ٥٥٤ في مجلدين وهي من مخطوطات القرن العاشر وقد اتخذها أصلاً .

٢ ـ نسخة دار الكتب المصرية في مجلدين ، وذكر رقم المجلد الأول منها وهو ٣٧ تاريخ م . ولم يذكر رقم المجلد الثاني ، وليس فيها تاريخ ولا ذكر للناسخ . وقد قدر تاريخ نسخها بعد القرن الحادي عشر .

٣ ـ نسخة مكتبة ييل YALE في الولايات المتحدة ، ولم يذكر رقمها . وقد قدر أنها كتبت بعد منتصف القرن الحادي عشر .

صَدّر المحقق هذه النشرة بترجمة وافية للمؤلف عول فيها على ما كتبه الجزيري عن نفسه وعن والده في الكتاب ، إذ لم ترد ترجمة له في مصادر أخرى ، إلا في كتاب محمد بن حميد النجدي المسمى « بالسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة » ، وقد عول

ابن حميد على كتاب المترجم في الإفادة عن سيرته . ولكن الجاسر صحح أوهاماً لابن حميد بتتبعه كتاب الجزيري ، فأرجع نسبة المؤلف إلى الجزيرة الفراتية وكان ابن حميد قد نسبه إلى جزيرة الفيل في مصر[١٧] ، كما صحح تاريخ ميلاده فقد أرخه المؤلف سنة ٩١١هـ بينما ذكر ابن حميد أنه كان سنة ٨٨٠هـ وهو تاريخ ميلاد والد صاحب « الدرر »[١٨] وحاول الجاسر تحقيق تاريخ وفاته المختلف فيه وانتهى إلى أنه عاش إلى ما بعد حج ٩٧٦هـ وأنه توفي قبل سنة ٩٨٢هـ . ثم ذكر مؤلفاته وأسهب في وصف الكتاب المحقق ثم وصف نسخه .

وتحدث عن طريقة النشر فذكر أنه اتخذ النسخة المغربية أصلاً لقدمها ، ولما فيها من الزيادات فيما تمكن من قراءته من نصوصها ، إذ فيها صفحات لا تستطاع قراءتها فما كان منها متفقاً مع النسختين الأخريين كان الرجوع فيه إليهما وما زاد أشار في الهامش إلى موضعه[١٩] .

كما عاد إلى نسخة الكتاب المطبوعة التي نشرها محب الدين الخطيب وعدها مغنية عن أصليها : مخطوطة الأزهر ، ونسخة الشيخ محمد نصيف المنسوخة عن مخطوطة حكمت بالمدينة .

ثم بين عمله فقال : « ولقد حرصت أن يخرج هذا الكتاب على خير صورة أستطيع إبرازه بها تتفق مع عمل مؤلفه ، فحاولت التثبت من صحة ما فيه من نصوص منقولة عن مؤلفات استطعت الاطلاع عليها فقابلتها وأشرت إلى ذلك في الحواشي التي حاولت أن تكون موجزة ، فالغاية تحقيق النص لا شرح الكتاب . كما حاولت السير على نهج الأستاذ محب الدين فيما صححه من أخطاء لغوية في كلمات يسيرة . أما الأخطاء التي اتضح من اتفاق النسخ على كثير منها أنها ليست كلها من تحريف النساخ فتركتها على حالها محافظة على النص ، مع الإشارة إلى بعضها . ووضعت الكلمات الأعجمية بين قوسين مثل (الدوادار) وحاولت إيضاح هذه الكلمات بإيرادها مرتبة مفسرة في آخر الكتاب . وقد وضعت علامة الاستفهام (؟) جوار ما استغلق عليّ فهمه من الكلمات ، ونقطاً (...) مكان مالم أستطع قراءته من (مغ) وما أكثره !! »[٢٠]

ثم ختم ذلك بقوله : « وآمل أن يعتمد على نسخة أوفى وأوضح من النسخ التي اتخذتها أصلاً لهذه المطبوعة ، ليعاد نشر الكتاب بصورة أصح وأكمل مما برزت به هذه المطبوعة[٢٠] » .

حاول المحقق أن يبرز النص خالياً من التعليقات في كثير من المواضع ، وكانت تعليقاته التي وضعها مختصرة كما وعد ، وهو أمر يحمد له ، غير أن من الملاحظ أنه ، في بعض الأحيان ، يورد المعلومات دون توثيقها بذكر مصادرها ، مثل تصحيحه نسبة باب إبراهيم ، من أبواب الحرم المكي إلى حنّاط كان يبيع بضاعته عند ذلك الباب وليس إلى النبي إبراهيم كما كان يظن(٢١) .

والناظر في تحقيق الجاسر لهذا الكتاب يدرك أنه قد بذل جهداً كبيراً في المراجعة على النسخ وخاصة النسخة المغربية التي اشتكى من عسر قراءتها وانطماس حروفها في كثير من المواضع . ولعل الميزة الأوضح في هذه النشرة الجديدة أنها قد اشتملت على إضافات لم تكن في النسخة التي نشرها محب الدين الخطيب .

ويحمد للجاسر في هذه النشرة احتفاظه بالتعليقات التي كان المحققون السابقون قد وضعوها على الكتاب كمحب الدين الخطيب ، وسليمان الصنيع ومحمد نصيف وأحمد ياسين الخياري ، مع ذكر أسمائهم عقب كل هامش ، كما أنه وضع رمز (م) بعد التعليقات التي لم تنسب إلى أحد في المطبوعة السابقة .

لقد رجع مؤلف الكتاب إلى مصادر عديدة في الحديث والفقه والتاريخ واللغة وغيرها مما ذكره في أثناء حديثه ناقلاً لنصوص كاملة أحياناً ومشيراً إلى بعض ما ورد في تلك الكتب . وقد رجع الجاسر إلى بعض هذه المصادر وحاول التثبت من ورود النصوص المنقولة منها وأشار إلى ذلك في هوامشه ولكنه لم يكن مستغرقاً لذلك فقد أغفل الرجوع إلى عدد كبير من تلك المصادر كما أنه كان في أحيان أخرى يهمل الإشارة إلى أرقام صفحات هذه المصادر إذا ذكرها(٢٢) .

ومن الواضح أن الجاسر لم يلق اهتماماً كبيراً لغير مصادر المؤلف في التاريخ إذ لا نجده يرجع إلى كتب اللغة والفقه والحديث وغيرها إلا في النادر القليل . بل إنه أغفل تخريج الأحاديث النبوية تماماً على الرغم من ذكر المؤلف لمصادرها في كثير من الأحيان وخاصة في الفصل الثاني من الباب الأول . وكذلك لم يخرج الأبيات الشعرية ، وبعضها منسوب إلى شعراء لهم دواوين معروفة .

ومن الملاحظ أيضاً أنه ـ أحياناً ـ يصحح الخطأ في الهامش ويبقي عليه في الأصل مع أن ذلك لا يتفق مع روح المنهج العلمي ، وإن كان يظن فيه التمسك بالأمانة العلمية . إذ الأصل في التحقيق أن يثبت الصحيح ، وينفي الخطأ ، ويشار إليه في الهامش . مثال

ذلك عند حديث المؤلف عن المدينة المنورة «ولها فرضة على ساحل البحر الفارسي تسمى الجار» (١٥٩٢/٣) فقد ترك المحقق ذلك في المتن وأشار في الهامش قائلاً: «كذا بالأصلين وهو خطأ صوابه بحر القلزم». قلت: ليس من المعقول أن يخطىء المؤلف في تسمية البحر الذي تقع عليه فرضة الجار المعروفة، ولو سلمنا بذلك جدلاً لكان من باب السهو، وسبق القلم الذي يحتاج إلى تصحيح في المتن مع الإشارة إلى ما ورد في المخطوطة في هامش الكتاب. ولكن ذلك لا يطرد عنده فنجده مثلاً يصحح اسم المرادين اللذين هاجما ابن عطية في حوادث سنة ١٣٠هـ فيجعلهما «ابنا جمانة» اعتماداً على تاريخ الطبري. وكان الاسم في المخطوطة «ابنا خمار».

كما نجد المحقق يقف عند الموازنة بين النسخ أحياناً موقفاً صامتاً لا يتعدى نقل ما فيها دون الترجيح أو التحقيق. مثال ذلك ما ورد في ١٨٩٩/٣ من إشارة المؤلف إلى أصل الخيزران أم الهادي والرشيد، إذ قال المؤلف: «وهي «جرشية» اشتراها المهدي فأعتقها وتزوجها». فعلق المحقق في الهامش (في مغ حبشية) ولم يحقق ذلك. وكان بالإمكان الرجوع إلى المصادر التي ترجمت لهذه السيدة ومعرفة أصلها الذي ترجع إليه.

وقد حفلت هذه النشرة بالأخطاء الطباعية والخلط بين الهوامش والأصل. فقد وردت كثير من الإشارات إلى النسخ الخطية في متن الكتاب، وكان حقها أن توضع في الهامش، كما في ص ٩٧ إذ وردت عبارة «من هنا ليس في المغربية ١٨ ب» داخل المتن بلا أقواس. وكذلك في ص ٩٨ إذ وردت عبارة: «هنا زيادة من المصرية» في المتن بلا أقواس أيضاً. وقد وضع المحقق قائمة بالأخطاء الطباعية وتصحيحها ولكن كثيراً من الأخطاء ليست مذكورة في هذه القائمة.

وأنهى المحقق الكتاب بفهارس مفصلة بلغت ثمانية فهارس شملت المباحث العامة، والأحاديث، والأعلام، والجماعات، والمواضع والشعر، والكتب، وأردفها بمسرد لكلمات عامية وأعجمية تكرر ورودها في الكتاب مع شرح لمعانيها. وهو إضافة جمة الفائدة للكتاب، وللباحثين في أحداث تلك الحقبة التاريخية.

ويلحظ على فهرس الكتب عنده أنه خلط فيه بين الكتب الواردة في متن الكتاب والكتب التي وردت في الهامش ورجع إليها المحقق، وكان حق هذا الفهرس أن يختص بما ورد في متن الكتاب. أما ما ورد في الهامش فمكانه قائمة المراجع التي كان من الواجب أن تفرد في آخر الكتاب.

وبالجملة فإن هذا الكتاب لأهميته وضخامته يعد إخراجه إلى النور بهذا القدر من التحقيق عملاً جيداً وإن كنا نطمع، كما يطمع محققه، أن تظهر له نشرة يتهيأ لها من الأصول ومن الجهد والمراجعة ما يجعلها في مستوى التطلعات.

ومن كتب المنازل التي نشرها حمد الجاسر كتاب: «البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي» لمحمد بن طولون الصالحي الحنفي (ت ٩٥٣هـ) وقد نشره في مجلة العرب[٢٣] على نسخة خطية ضمن مجموعة في المكتبة التيمورية، بدار الكتب المصرية رقم ١٤ تحتوي على عدد من رسائل المؤلف وهي بخطه ويقع كتاب «البرق السامي» بين الصفحات ٢١٥ ـ ٢٢٨.

قدم المحقق بمقدمة قصيرة ضمنها الحديث عن طرق الحج المختلفة، ثم تحدث عن طريق الحج الشامي، الذي وصفه بأن ما وصل إلينا عنه ليس وافياً في تحديد منازله، أو تعداد مراحله، ومع أهمية الطريق إلا أن اهتمام الجغرافيين بتحديد منازله لا يتلاءم مع مكانته.

ثم ذكر أن أقدم من وصف هذا الطريق مرحلة مرحلةً إبراهيم بن شجاع الحنفي الدمشقي، وهو مُؤلِّف لا يعرف عنه شيء سوى ما ذكر في كتاب مخطوط عنوانه: «منازل الحجاز» ويظهر أنه من تآليف محمد بن العطار[٢٤]. ثم أورد نص ما جاء في كتاب ابن العطار المسمى «منازل الحجاز» وهو كتاب تحدث عنه حمد الجاسر في بحثه الذي ألقاه عن كتب المنازل في «الندوة العالمية لدراسة تاريخ الجزيرة العربية» ويتبين منه أن نسخة من هذا الكتاب موجودة في مكتبة «لاله لي» في استانبول، وقد صوره معهد المخطوطات سنة ١٩٤٩م، على الشريط رقم ٣٠/٢٠/٨٠٩ وفي مكتبة جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) صورة عن هذا الشريط[٢٥].

وبعد أن ذكر المراحل الثلاثين التي وردت في كتاب ابن العطار وهي تمثل نص الكتاب، فيما يبدو، انتقل إلى الحديث عن «البرق السامي» فوصف المؤلف بقوله إنه: «أوفى من رأيته كتب عن وصف هذا الطريق»[٢٦].

اكتفى المحقق ببعض التعليقات الخفيفة المتعلقة ببعض المواضع أو الكلمات الواردة في الأصل. كما قام بتحويل جدول عرض منازل الحجاز على الدرب الشامي من طريقة المؤلف التي استعمل فيها الحروف إلى الأرقام، فوضع الأرقام بعد الحروف؛ فعرض رابغ مثلاً عند المؤلف (كب لب) وهي توافق ٢٢ ـ ٣٢ وهكذا.

وفي هذا الإطار من كتب المنازل اهتم حمد الجاسر بالأراجيز والمنظومات الشعرية التي وضعها مؤلفوها في وصف طرق الحج ، وقد عد منها جملة صالحة في بحثه الآنف الذكر الذي كتبه عن كتب المنازل وألقاه في ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية . ومن هذه الأراجيز أرجوزة بعنوان : « دليل المجتاز بأرض الحجاز »[٢٧] منسوبة لبدر الدين أبي محمد الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٩هـ ، وهي من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ورقمها فيها ٦٩٢٣ . وتقع في ١٩٣ بيتاً . وقد وصفها الجاسر في بحثه ذاك بأنها « في وصف طريق الحج من دمشق إلى مكة المكرمة وذكر جميع مشاعر الحج ومناسكه ، ووصف للمنازل وترتيب ذكرها ، وسرد أسمائها مع سلاسة لفظ تلك الأرجوزة مما يجعلها جديرة بالدراسة »[٢٨] .

أورد الجاسر في نشرته هذه نص الأرجوزة بلا تعليق وقال في مقدمة حديثه عنها « ومما تجدر ملاحظته أن كثيراً من أسماء المواضع الواردة في الأرجوزة لم أهتد إلى وجه الصواب فيها ، فاضطربت لإيرادها على علاتها ، ولعله يتيسر لأحد القراء نسخة أجود من النسخة التي اتخذتها أصلاً فيتمكن من تصحيح تلك الأسماء »[٢٩]

ولم تكن أرجوزة ابن حبيب هذه كل ما نشره حمد الجاسر من شعر يتعلق بالمنازل فقد سبق ذلك أن كتب مقالاً في مجلة « العرب » بعنوان : « الشعر في وصف منازل الحج »[٣٠] وأورد فيه مجموعة من الأشعار التي قيلت في بعض مواضع الحج وطرقه لجملة من العلماء منهم بدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ) ، و خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، وابن أبي حجلة (ت ٧٧٣هـ) ، وإبراهيم بن عبد الله القيراطي (ت ٧٨١هـ) ، وناصر الدين محمد بن ميلق ، والحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) والشهاب الحجازي أحمد بن محمد بن حسين الأنصاري (ت ٨٧٥هـ) ، وابن العطار (ت ٨٣٦هـ)[٣١] ، وعبد القادر بن محمد الجزيري (بعد ٩٧٦هـ) ، وقطب الدين المكي محمد بن أحمد النهروالي (ت ٩٩٠هـ) ، وإبراهيم بن عبد الرحمن الخياري (ت ١٠٨٣هـ) ، ومحمد بن عبد الله الحسيني كبريت المدني (ت ١٠٧٠هـ) ، وجمال الدين محمد بن بدر الدين الدرا الدمشقي (ت ١٠٨١هـ) ، وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي (١١٤٣هـ) .

وهؤلاء هم الذين رتب الناشر أشعارهم على أسماء مراحل الطريق ، وترجم لهم في

مقاله فأفردهم بعناية خاصة ، ولكن الناظر في تضاعيف مجموع الأشعار يجد أسماء أخرى لم يشر إليها الجاسر في مقدمته ، وقد أفاد أشعارهم من بعض كتب المنازل أو الرحلات أو بعض الدواوين والأوراق المفردة فقد أخذ عن « نظم العقيان » شعراً لمحمد بن محمد النويري المكي (ت ٨٧٣هـ) ، وأخذ عن « الدرر الفرائد المنظمة » للجزيري ، شعراً لكثير عزة ، وهند بنت أثاثة ، ونور الدين بن الجزار الشافعي ، وأبي عبد الله الفيومي المكي . كما أخذ من أوراق مخطوطة في خزانة الزركلي شعراً للمنصوري ، ونقل شعراً لمحمد بن عياد من ديوانه المخطوط عند الزركلي ، وشعراً لمحمد البكري أفاده من رحلة النابلسي .

ومما يتصل بالحرمين الشريفين ونشره حمد الجاسر في مجلة « العرب » مسلسلاً كتاب « حسن القرى في أودية أم القرى »[٣٢] لجار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن فهد (ت ٩٥٤هـ) عن مصورة مأخوذة عن الأصل المحفوظ في مكتبة الأحقاف بتريم في حضرموت ، صورها معهد المخطوطات العربية برقم ١٤٤٧هـ ــ ٤٥ جغرافيا . وقابلها الناشر على نسخة نسخت له بقلم أمين مكتبة الأحقاف وفرغ منها بتاريخ ١٦ ذي القعدة سنة ١٤٠١هـ .

لقد كان المظنون أن الأصل بخط المؤلف ، ولكن الجاسر برهن ، بمقابلة الخط بنموذج خط ابن فهد المنشور في كتاب « الأعلام » للزركلي ، على أن الخط مغاير ولذلك فإنه لا تثبت لديه نسبة الخط إلى المؤلف علاوة على ما في الكتاب من أغلاط لغوية تستبعد من المؤلف (ص ١٥) .

والمخطوط ــ مع كونه وحيداً ــ ينقص نقصاً يسيراً في آخره قدّره المحقق بما لا يزيد على صفحتين[٣٣] . فقد انتهى ببداية حرف الهاء ، واشتمل الكتاب على معلومات قيمة دفعت المحقق إلى نشره .

لخص الناشر عمله بالآتي :

١ ــ أنه حاول أن يقدم للقارىء نسخة صحيحة دون أن يضيف إليه شيئاً من الحواشي ، سوى ما يوضح بعض جمل وردت فيه ، أو يصحح ما يراه وهماً أو خطأ بعد الرجوع إلى مصادر صحيحة[٣٤] .

٢ ــ لم يتعرض لتراجم من مر ذكرهم في الكتاب معللاً ذلك بقوله أن الكتاب نفسه لم يخصص لذلك وهو لا يريد شرحه[٣٥] .

٣ ـ ذكر في نهاية بعض فصول الكتاب جملة الأماكن التي لم يذكرها المؤلف والمتعلقة بتلك المواضع وذلك في الهامش . إلى جانب بعض الإيضاحات التي تتعلق بالمواضع المذكورة في الكتاب .

والواقع أن المراجع لتعليقات الناشر في الكتاب يجده قد خدمه بشكل واف يفوق في بعض أوجهه صنيعه في كثير مما نشره من نصوص اقتصر فيها على إيراد النص بلا تعليق كبير . فنحن نجد مراجعة مستقصية لكثير من المصادر الجغرافية والتاريخية وتحديداً لبعض المواضع ، مع التنبيه على بعض ما يذكره المؤلف مما لا يتسع له صدر بعض القراء . كما أشار إلى بعض التراجم وحدد وفيات بعض المترجمين ، على الرغم من أن ذلك لم يكن من خطته . وقد بلغت الحواشي والتعليقات على الحلقة الأخيرة من الكتاب[٣٦] ما يقارب ١٦ صفحة من الحرف الدقيق . تتعلق بإكمال الكتاب بالمواضع التي لم تذكر . مع مراجعة النصوص والمواضع على كتب البلدان والتاريخ لياقوت ، والبكري ، وكتاب الفاسي « العقد الثمين » ومصادر أخرى .

كما نشر الجاسر في هذا المجال رسالة صغيرة بعنوان : « جزء فيه ذكر وصف مكة شرفها الله ووصف المدينة الطيبة كرمها الله ، ووصف بيت المقدس المبارك حوله » لمؤلف مجهول يظن أن اسمه محمد بن أبي بكر التلمساني . وذلك اعتماداً على نسخة مكتبة الاسكوريال التي تقع الرسالة فيها ، ضمن مجموع يضم إلى جانب تلك الرسالة كتابين أحدهما : « منهاج المناقب » لابن أبي الخصال محمد بن مسعود الأندلسي (ت ٥٤٠هـ) وثانيهما « قصة إبراهيم عليه السلام » وانتهى نسخ الرسالة على يد حكم بن يوسف البلنسي بثغر منورقة في أواسط ذي الحجة سنة ٦٧٦هـ .

لقد نسبت الرسالة إلى التلمساني بسبب أبيات كتبت فوق طرتها منسوبة إليه ، كما أن الرسالة الأخرى في قصة إبراهيم عليه السلام هي من تأليفه . ومن دراسة النص وجد الناشر أن المؤلف من أبناء القرن الرابع الهجري ، ذلك لأنه يروي عن « الخزاعي عن الأزرقي » وبعد استعراض أسماء الخزاعيين الذين رووا كتاب الأزرقي يترجح الظن بأن المقصود هو محمد بن نافع الخزاعي ، الذي كان حياً سنة ٣٥٠هـ وله تأليف في فضائل الكعبة واتصل به بعض علماء الأندلس . كما يستدل على ذلك بأن أمير مكة كما جاء في بعض مواضع الرسالة يدعى جعفراً وباستعراض أسماء أمراء مكة يتبين أن جعفراً هذا قد استقل بحكم مكة منذ سنة ٣٥٨هـ وإلى حوالي سنة ٣٨٠هـ ، كما يتبين

من النص أن المؤلف من المغرب الأقصى لاستدلاله « بجدي القبلة » على ما يفعله سكان تلك البلاد . كما لا يذكر من الكتب إلا « الموطأ » دلالة على أنه مالكي[٣٧] .

صحح الجاسر الرسالة من حيث الضبط بالشكل على الرغم من كونها مضبوطة وكون خطها متقناً ، ولكنه صادف بعض التحريف في بعض الكلمات التي يظن أنها من عمل الكاتب ، وعلق عليها تعليقات طفيفة لا تتعدى الرجوع إلى كتاب الأزرقي . أو التنبيه على ما يقوله المؤلف فيما يخص العقيدة (ص ٣٥٠) أو تصحيح بعض المعلومات التاريخية .

ج ـ كتب الرحلات

تعد الرحلات إلى الجزيرة العربية أحد المصادر التاريخية والجغرافية لدراسة ماضي هذه البلاد وخاصة ما يتعلق منها بعصور الضعف السياسي . ولقد تركزت معظم الرحلات على منطقة الحرمين الشريفين إذ هي أكثر المناطق اجتذاباً للوافدين إلى الجزيرة . ولهذا نجد تراثاً هائلاً يتعلق بالمدينتين الكريمتين مكة والمدينة بشكل خاص ، ومواضع الحجاز بشكل عام ، تضمه كتب الرحلات الكثيرة التي ألفت في عصورمتفاوتة . ومع أهمية هذه المصادر إلا أن معلوماتها ظلت في معظمها مخبوءة في المخطوطات ، ولم يتهيأ لكثير منها النشر مما جعل الإفادة منها محدودة .

والملاحظ أن حمد الجاسر قد وجه اهتماماً خاصاً لهذا المصدر من مصادر المعلومات عن الجزيرة العربية فبدأ منذ أن أنشأ مجلة « العرب » في نشر ملخصات لما كتبه الرحالون خاصاً بمواضع الجزيرة العربية . فنشر بذلك مجموعة من المواد المتعلقة بهذه الرحلات ولعل من المناسب أن نشير بإيجاز إلى هذه الرحلات التي تناولها الجاسر بالتعريف والتلخيص والنشر في مجلته . سواء أكان ذلك مستقلاً أم كان ضمن بحثه الذي دعاه « في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج » ، والذي نشر منه أكثر من عشرين حلقة .

١ ـ رحلة النابلسي :

وهو الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي ولد في دمشق سنة ١٠٥٠هـ وتوفي بها سنة ١١٤٣هـ وقد نشر الجاسر مقتطفات من رحلته المسماة « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز » وهذه المقتطفات تتعلق بالمدينة المنورة

تحت بحث بعنوان : « المدينة المنورة في مطلع القرن الثاني عشر كما يصفها النابلسي في رحلته »[٣٨] . وقد كان وصول النابلسي إلى المدينة في ٢ ـ رمضان ـ ١١٠٥هـ ومكث فيها حتى السابع والعشرين من ذي القعدة من العام نفسه[٣٩] .

نشر الجاسر هذه المقتطفات في مجلة « العرب » على حلقات تبلغ ثمانياً أولها في الجزء الأول من المجلد الثاني (شعبان ١٣٨٦هـ) وآخرها في الجزء الحادي عشر من المجلد الأول (جمادى الأولى سنة ١٣٨٧هـ) ولم يعلق عليها سوى تعليقات ضئيلة نادرة تختص ببيان بعض البدع . والواقع أن جهده انصب على التلخيص أكثر من أي شيء آخر .

٢ ـ رحلة محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي : (ت ١٢٣٩هـ)

في السنة التاسعة من « العرب » بدأ الجاسر سلسلة من البحوث بعنوان : « في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج » وكانت الحلقة الأولى في نهاية عام ١٣٩٤هـ[٤٠] . في هذه الحلقة تحدث الجاسر عن رحلات الأندلسيين وعلماء المغرب الذين دونوا الرحلات مثل أبي سالم العياشي (ت ١٠٩٠هـ) وأحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت ١١٢٩هـ) ومحمد بن عبد السلام الناصري الدرعي (ت ١٢٣٩هـ) وذكر أنه سيتناول الحديث عن رحلة الأخير « لقرب زمنها من عهدنا ولكونها غير منشورة »[٤١] .

قام ابن عبد السلام الدرعي برحلتين إلى الحج الأولى سنة ١١٩٦هـ والثانية سنة ١٢١١هـ ورحلتاه إحداهما تسمى « الكبرى » وهي الأولى ، والثانية تسمى « الصغرى » .

فالأولى توجد منها نسخة بخط المؤلف وقد كملت في ٢٩ من شهر جمادى الأولى سنة ١١٩٩هـ كما قوبلت من مؤلفها سنة ١٢٠٠هـ وهي محفوظة في الخزانة العامة في الرباط برقم ٢٦٥١ د .

أما الرحلة الثانية (الصغرى) فقد بدأها في ١٢١١/٥/٤هـ ، وعاد إلى بلاده في ضحوة عاشوراء سنة ١٢١٣هـ ، وذكر الجاسر أن « منها نسخة منقولة عن خط المؤلف في الخزانة الكتانية ، وأخرى لدى الأستاذ عبد السلام بن سودة مؤلف كتاب « إتحاف المطالع » تاريخ نسخها سنة ١٣٧٣هـ وقد نسخها عبد السلام عن نسخة بخط مؤلفها في خزانة قاضي الجماعة بفاس محمد الصديق بن أحمد الفاسي » .

قدم الجاسر ملخصات لهاتين الرحلتين « تتعلق بتحديد منازل الحج ومناهله وذكر

سكان تلك المنازل، مع ما أورده المؤلف من ذكر أحوال المدينتين الكريمتين مكة والمدينة». أما المباحث التاريخية والدينية فقد عول المؤلف فيها على كتب معروفة ولذلك لم يطل الجاسر بذكرها. كما ذكر أنه قسم هذا الملخص ثلاثة أقسام:

١ – في وصف الرحلة من مصر إلى مكة.
٢ – في الطريق من مكة إلى المدينة.
٣ – في الطريق من المدينة إلى مصر.

لقد نشر الجاسر هذه الرحلة في سبع حلقات آخرها كانت في الجزئين الخامس والسادس من المجلد العاشر من «العرب» وقد رقمت خطأً برقم (٨).

واقتصر عمل الجاسر على نشر مقتطفات من النص مع إشارات طفيفة في الهوامش. تتعلق بإيراد الحواشي الموجودة في نسخة الأصل، والمراجعة على كتب بعض الرحالة كرحلة العياشي التي رجع إليها المؤلف كثيراً، والعبدري والناصري، وتصحيح مواضع قليلة جداً للمؤلف كما في تصحيحه لبلاد طيء التي ظن المؤلف أن المويلح منها (مج ٩ ص ٣٦٣)، (وكذلك في مج ٩ ص ٨٤٥)، وموضع حقل (٨٣٦)، ومقنى (ص ٨٤١) وتصويب اسم بَلِيّ (مج ٩ ص ٨٤٦). كما نبه على ما في الرحلة من معتقدات لا ترضى العقيدة السلفية كحرمة التوسل بالصالحين (مج ٩ ص ٨٤٥ وص ٨٢٥ ومج ١٠ ص ١٨١) ونحو ذلك.

٣ – رحلة العبدري:

وضمن سلسلة في «رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج» نشر الجاسر ملخصاً لرحلة العبدري، وهو محمد بن محمد بن علي العبدري الحيحي. من رجال القرن السابع الهجري، ورحلته مطبوعة نشر قسم منها في الجزائر لا يتضمن شيئاً عن الحج. ثم نشرها كاملة محمد الفاسي في الرباط سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)، وصدرها بمقدمة عن مؤلفها جاءت في ٣٩٢ صفحة، المتعلق بالحجاز منها ٦٧ صفحة (من ص ١٥٣ – ٢٢٠).

قال الجاسر (مج ١٠ ص ٧١٥) «ولا يقلل من قيمة نشر ملخص تلك الرحلة كونها مطبوعة فكثير من القراء لم يطلعوا عليها لقلة رواج المطبوعات المغربية عامة في بلادنا».

نشر الجاسر مقتطفات مما كتبه المؤلف عن رحلته من برية ما بين الحجاز ومصر

إلى وصف طريقه من المدينة إلى الشام في العودة . وقد استغرقت المقتطفات ما يقارب نصف المنشور في المطبوعة إذا حسبنا عدد الصفحات في كل منها .

غير أن الجاسر لم يعلق على الرحلة تعليقات كثيرة بل اكتفى في كثير من هوامشها بذكر صفحات المطبوعة التي نقل منها النصوص . وقد حرص على التنبيه على ما في كلام المؤلف من حدة تتجلى حين يصف بعض الناس أو الأقوام ، أو البلدان فنجد الجاسر ينبه في المقدمة إلى ذلك واصفاً المؤلف بسلاطة اللسان (مج ١٠ ص ٧١٦) وخاصة فيما يتعلق بحديثه عن أحوال البادية في ذلك الزمان ، ويرد الجاسر ذلك إلى الفقر المسيطر على أرجاء الجزيرة آنذاك . وكذلك عند حديث المؤلف عن أهل مكة (ص ٧٣٣) فقد أورد الجاسر ما ذكره ابن عبد السلام الناصري في الرحلة الكبرى من انتقاد للعبدري عندما ذم أهل مصر ، واصفاً إياه بأنه « بربري من سكان الجبال ، لم يألف الناس ، ولا البحث معهم ولا الذهاب إليهم » ... إلخ . وكذلك عند حديث العبدري عن أعراب المدينة (ص ٧٤١) فقد علق الجاسر على ذلك بأن ذلك في عهد قد ضرب فيه الجهل وعمت الفوضى والحمد لله الذي بدل العسر باليسر (كذا) فعم الأمن هذه البلاد » .

كما نبه على بعض الخرافات كالتبرك بالأعواد الموجودة في الحرم النبوي مما لا يجيزه الشرع (ص ٧٤٤) .

٤ ـ رحلة البلوي :

وهو رحالة مغربي أندلسي اسمه خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم البلوي (ت بعد ٧٦٥هـ) وصل القاهرة قادماً من بلاده في ١٣ رجب ٧٣٧هـ ، وزار مكة المكرمة في ٥ ذي الحجة سنة ٧٣٨هـ قادماً من الشام بطريق البر[٤٢] . وعاد إلى مصر بعد الحج في ١٤ صفر سنة ٧٣٨هـ وتوجد من رحلته نسخ مخطوطة منها ثلاث مصورة في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة أرقامها ٢٠٢ و٤٠٠م و١٠٥٣ جغرافيا .

اطلع الناشر على النسخة الأخيرة وهي حديثة الخط كتبت سنة ١١٧٦هـ وتقع في ٢٤٠ ورقة وما يتعلق بالكلام منها على الحجاز يقع في ٣٧ ورقة من ٩٠ ـ ١٢٧ .

سمى المؤلف رحلته : « تاج المفرق في تحلية أهل المشرق » وقد نشر الجاسر منها ملخصات تتعلق بالمنازل والمآثر التي مر عليها الرحالة إلى أن انتهى إلى العقبة ، أو عقبة

أيلة التي يتفرق منها الحاج ، منهم من يذهب إلى الديار المصرية ومنهم من يذهب إلى الديار الشامية . واقتصر النشر على التلخيص ، وبعض الملاحظات الطفيفة حول تصحيح بعض المواضع ، والتنبيه على ما يرد في ثنايا الرحلة من البدع والأمور التي لا ترضي أهل السنة والجماعة ، كبناء القباب على القبور ، والتمسح والتبرك ببعض الأشياء كالأخشاب والأحجار ، ومالم يثبت تاريخياً من مآثر كموضع ميلاد النبي ﷺ .

٥ ـ رحلة العياشي :

وهو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي ، من أهل فاس ولد سنة ١٠٣٧هـ وحج مراراً سنة ١٠٥٩هـ وسنة ١٠٦٤هـ وسنة ١٠٧٢هـ والسنة الأخيرة هي التي سجل فيها الرحالة وقائع رحلته التي سماها « ماء الموائد » . وهي رحلة سبق طبعها في فاس طبعة حجرية بالخط المغربي سنة ١٣١٦هـ في جزئين يكونان ٨٩٨ صفحة . وقد برر الجاسر نشر مقتطفات من الرحلة في مجلة « العرب » على الرغم من كونها مطبوعة بقوله : « قد يقال أن الرحلة مطبوعة فلماذا هذا العمل والكتاب متداول » وأجاب عن ذلك بقوله :

١ ـ إن الكتاب مضى على طبعه زمن طويل فأصبح في حكم النادر .

٢ ـ إن الكتاب طبع على الحجر مصوراً بالخط المغربي .. الذي هو فرع من الخط الكوفي .. وهذا الفرع ... قل من يحسن قراءته من المشارقة . ولهذا لم يتمكن تجار الكتب من إعادة طبع هذا الكتاب ، مع طبعهم رحلات كثيرة .

٣ ـ تعتبر رحلة العياشي مصدراً مهماً من مصادر الرحلات .. وليس من المبالغة القول بأنها تفضل كل الرحلات التي وصلت إلينا مطبوعة فيما يتعلق بالحجاز بدون استثناء »[٤٣] .

بدأ الجاسر في نشر ملخصات ومقتطفات من رحلة العياشي منذ المجلد السابع من مجلة « العرب » فقد أفرد في الجزء الرابع من ذلك المجلد فصلاً في وصف العياشي لمدينة الطائف بعنوان « الطائف في القرن الحادي عشر » ، وفيه أورد ما جاء في الرحلة العياشية عن تلك المدينة ذاكراً إياه بنصه حاذفاً منه مالا تستسيغه عقول القراء[٤٤] . ثم أتبع ذلك في الجزء الذي يليه بفصل آخر بعنوان « جدة في القرن الحادي عشر » أورد فيه وصف العياشي لمدينة جدة[٤٥] .

ثم عاد إلى الرحلة في المجلد الثاني عشر في العددين المزدوجين (١ ـ ٢ ، ٣

ـ ٤) فقدم لها بمقدمة عن المؤلف حياته ومؤلفاته وتحدث فيها حديثاً موجزاً عن الرحلة ثم نشر ملخصات منها تبدأ بوصف الطريق من مصر إلى مكة ، ثم وصف مكة ومآثرها ومن اجتمع المؤلف به من علمائها ووصف عاداتها . ثم وصف الطريق من مكة إلى المدينة ، فوصف المدينة ووصف أهلها وعاداتهم ، وعلمائها والمقارنة بين أهلها وبين أهل مكة ، ثم العودة من المدينة إلى مكة ثم العودة مرة أخرى إلى المدينة في طريق الرجوع إلى بلاده . ثم جمع الجاسر تلك المقتطفات ونشرتها مجتمعة دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض في جزء بلغت صفحاته ٢٢٣ صفحة . ويلحظ وجود بعض الاختلاف في الترتيب بين ما نشر في المجلة وما نشر في المطبوع . ففي مجلة العرب يورد الجاسر الحديث عن « الجعرانة » بعد الحديث عن « حجر المرفق » (ج ١٢ ، ص ١١٤) بينما نجد في مطبوعة الرفاعي ص ٦٣ فصلاً بعنوان « الآثار في منى » يأتي بعد « حجر المرفق » . أما « الجعرانة » فقد أفردها بفصل بعد ذلك بعدد من الصفحات (ص ٩٣) . كما نجد بعض التعليقات والاستدراكات التي ذكرها الجاسر في صلب المنشور في مجلة العرب ينتقل إلى الهامش في طبعة الرفاعي . (قارن مثلاً بين (ج ١٢ ص ١١٣) من العرب و(ص ٦٠) من مطبوعة الرفاعي) .

سلك الجاسر في نشر هذه الرحلة المسلك السابق في تلخيص ما يخص طريق الحج ومنازله من المواضع المتعلقة بالجزيرة العربية والقريبة منها .

واقتصرت الهوامش في الرحلة على الرجوع إلى صفحات المطبوعة والتنبيه على بعض الخرافات والبدع . وتصحيح بعض أوهام المؤلف كتعبيره عن السعدان « بأنه شجر وهو « عشب »[٤٦] أو قوله بأن ابن خلكان قد جزم بوجود قبر حواء ، والأمر ليس كذلك[٤٧] ، وبعض التصحيحات لأسماء الأماكن ووصفها إلى جانب تقديم النص بشكل مقروء جذاب .

ويبدو أن الناشر لم يكن يسلك أسلوب التسلسل في نشر هذه الملخصات كما وردت في الرحلة الأصلية . فهناك ـ مثلاً ـ فقرة تتكرر بنصها في موضعين مختلفين وهي وصف العياشي لوسائل ركوب أهل الحجاز في ذلك الزمان وهي الحمير وإعجابه بسرعتها . فنحن نجد هذه الفقرة في سياق وصف المؤلف لطريقه من جدة إلى مكة (ص ٩٩ مطبوعة الرفاعي) . ولكن ما نلبث أن نجد الفقرة بنصها تتكرر عند وصف

العياشي للإبل المكتراه من المدينة إلى مكة (ص ٢٠٦) فهو يقول : « وكما وصف العياشي الإبل في الحجاز هذا الوصف فإنه قد وصف وسيلة الركوب الأخرى وقد سار عليها من مكة إلى جدة فقال : ..... » ويعيد الفقرة بنصها مع أنها واردة في الكتاب نفسه وكان بالإمكان الإشارة إليها برقم الصفحة . ولعل ذلك ناتج من تفاوت النشر في مجلة « العرب » بين المجلد السابع والمجلد الثاني عشر ، وحرص الناشر على أن يطلع القارئ على هذه الفقرة التي لم يتنبه إليها عند إعداد المادة للنشر في صورة كتاب .

٦ ـ الرحلة الناصرية :

لأحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المولود سنة ١٠٥٧هـ والمتوفى سنة ١١٢٩هـ (أو ١١٢٨هـ) وقد نشر حمد الجاسر في « العرب » ملخصات منها عن النسخة المطبوعة طبعة حجرية في مدينة فاس سنة ١٣٢٠هـ ومن هذه الرحلة نسخة مخطوطة في الخزانة العامة في الرباط سنة ١٣٠٦هـ بعنوان : « رحلة إلى بيت الله الحرام » في ٢٤٠ ورقة ، وأخرى أقدم منها خطاً مكتوبة سنة ١١٣٨هـ في ١٣٤ ورقة في المجموع رقم ٢٣٤٣ .

خرج ابن ناصر من الزاوية الناصرية في درعة يوم الخميس ٢٤ جمادى الأولى سنة ١١٢١هـ وعاد إلى الزاوية في خامس رمضان سنة ١١٢٢هـ ويقول الجاسر بأن « هذه الرحلة تعتبر متممة للرحلة العياشية التي اعتمدها المؤلف أصلاً له ونقل عنها كثيراً ، وهذا ما دعا إلى تلخيص ما يتعلق بالحجاز منها ، لا سيما وأن بعض ما ورد في رحلة العياشي موجود فيها ولم ينشر فيما نشر من تلك الرحلة »(٤٨) .

لقد اقتصر عمل الجاسر هنا على اختصار كلام المؤلف في المواضع التي اختارها من الرحلة مع تقديمها في شكل أوضح . واقتصرت الهوامش على ذكر صفحات الرحلة المطبوعة القديمة ، والرجوع إلى الرحلة العياشية في المواضع التي رجع فيها المؤلف إليها ، وبعض التعليقات حول بعض المواضع تصحيحاً أو توضيحاً ونحو ذلك .

٧ ـ رحلة المنالي الزبادي :

وهو عبد المجيد بن علي المنالي الزبادي الحسني الإدريسي الفاسي المتوفى سنة ١١٦٣هـ أحد علماء المالكية . حج سنة ١١٤٨هـ وقد اعتمد في وصف كثير من مشاهداته على رحلة العياشي .

ورحلة الزبادي مخطوطة في خزانة الرباط (لم يذكر رقمها) وقد وصفها حمد الجاسر بأنها « من أوسع الرحلات إلى الحج وأوفاها ، وتعتبر متممة لرحلات العياشي

والدرعي وابن ناصر »[٤٩] . ثم وصف عمله في الرحلة بقوله : « وسألخص من رحلته ما يتعلق بوصف الطريق من القاهرة إلى مكة من وصف آثار المدينتين الكريمتين ومشاعر الحج ، محافظاً على كلامه بنصه ، مع حذف ما لا فائدة من ذكره »[٥٠] .

نشر الجاسر من الرحلة ما يبدأ « ببركة القاهرة » ومنها إلى مكة المكرمة والمدينة ثم إلى المويلح . حيث ينتهي ما اختاره الناشر من الرحلة . وأتبعها بنشر قصيدة المنالي المسماة : « إتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك » والتي ختم بها رحلته وتقع في ١٣٠ بيتاً .

٨ ـ رحلة السيد محمد البكري :

لم يذكر الجاسر شيئاً عن هذا المؤلف الرحالة[٥١] فلم يحقق زمنه ولم يطلع على نسخة مطبوعة أو مخطوطة من رحلته ويبدو أن ذلك كله لم يكن ممكناً . وغاية ما أراده هو جمع النقول التي وردت عنه في كتب بعض الرحالين المغاربة ، كالعياشي ، ومحمد بن أحمد بن ناصر الدرعي صاحب الرحلة الناصرية ، وأبي مدين .

ومن سنة المؤلف أن يذكر بعد كل منزلة من منازل الطريق أبياتاً من شعره . وقد جمع الجاسر ذلك من الرحلات المختلفة وأشار إلى مواضعه منها وخاصة من الرحلتين الناصرية والعياشية . وعلق على بعض المواضع فيها تعليقات يسيرة جداً ونشرها ضمن بحثه « في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج » في مجلة العرب[٥٢] .

واقتصر العمل على اختيار النقول وحذف بعض ما لا يناسب من العبارات وأبيات الشعر والمقابلة على ما في الرحلات المذكورة .

٩ ـ رحلة الهشتكي :

وهو أحمد بن محمد الهشتكي (ت ١٠٩٦هـ) وعنوانها : « هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام » وهو عالم مغربي . وقد ذكر الجاسر أن ما تضيفه هذه الرحلة من معلومات جديدة قليل إلا أن الباحث قد يستفيد منها .

نشر الجاسر من رحلة « الهشتكي » ما يتعلق بأماكن طريق الحج ، من العقبة إلى مكة و« ما تحدث به عمن شاهده من علماء مكة وعما شاهده فيها » .

وللرحلة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط ، وذكر ابن سودة في كتابه « دليل مؤرخي المغرب » (ص ٣٧٠) بأن منها نسخة في تمكروت ويظن أنها بخط المؤلف

ويلحظ حمد الجاسر أن : كاتب الرحلة كان مرافقاً لشيخ فهو يدون رحلته ، وكثير من أسماء المواضع أوردها محرفة مما يدل على قصوره في المعرفة »[٥٣].

واقتصر النشر على تقديم النص كما هو ، مع بعض الإشارات الطفيفة والغريب أن الجاسر في هذا النص لم يصحح أسماء المواضع التي ذكر أنها محرفة ولم يشر إلى ذلك في الهامش . مثل « المليح » وهي على ما ذكر « المويلح » و« الأزلام » وغير ذلك .

١٠ ـ رحلة السنوسي التونسي :

وهو محمد بن عثمان بن محمد السنوسي ، المولود في تونس سنة ١٢٦٦هـ والمتوفى في رجب سنة ١٣١٨هـ . وقد قام برحلته سنة ١٢٩٩هـ وكان حجه عن طريق البحر من بورسعيد إلى جدة التي بلغها في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٩٩هـ ودخل مكة في ٢٨ ذي القعدة من السنة نفسها . وقد لخص حمد الجاسر هذه الرحلة وهي مخطوطة في دار الكتب الوطنية في تونس . (لم يذكر رقمها) وقال : « ومع أن مؤلفها حديث العهد إلا أن فيها من المعلومات ما يحتاج إليه الباحثون »[٥٤].

كما أشار إلى اهتمام التونسي بالأدب والأدباء فقال : « وتبرز في كتابات السنوسي عناية بالأدب والأدباء ، ولهذا فإن دارسي تاريخ الأدب في هذه البلاد في الحقبة الأخيرة ، لا يعدمون فيما كتب السنوسي في رحلته جانباً مفيداً مع ملاحظة أنه توسع فيما كتب ولم نأت على جميع ذلك »[٥٥].

لقد اقتصر النشر على التلخيص والتنبيه على بعض المواضع من الرحلة .

١١ ـ الرحلة الحامدية :

مؤلفها إسماعيل الحامدي المكي . وهو رحالة توجه للحج من مصر في ١٧ ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ إلى السويس ، وركب في باخرة فرنسية إلى جدة فوصلها في ٢٢ ذي القعدة ووصل مكة في ٢٤ منه ، وغادر مكة في ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٩٧هـ وعاد إلى منزله في مصر بعد مغرب يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٢٩٨هـ .

مخطوطة رحلة الحامدي في خزانة الرباط ، كتبت في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٠٤هـ وكاتبها يدعى عامر محمد أحمد الحواتكي . وهي ممزوجة بالمناسك .

نشر الجاسر ملخصاً لهذه الرحلة وقد وصف مؤلفها بأنه « متأثر » بروح عصره من حيث عدم التحقيق فيما يتعلق بالآثار المنسوبة للصالحين ، ومن حيث الانصياع

لبعض آراء العامة والجهلة في التبرك بتلك الآثار ، وقال « ولم نشأ التطويل في التعليق على ما هو من هذا القبيل ، فقد وضح السبيل ولله الحمد »(٥٦) .

ومع ذلك فقد تعقب الجاسر المؤلف في مواضع عدة مبيناً بطلان ما ذهب إليه إما من ناحية العقيدة أو من ناحية التاريخ .

١٢ ـ رحلة ابن كيران المغربي :

وصاحبها محمد بن الطيب بن أبي بكر بن الطيب بن كيران ، المتوفى سنة ١٣١٤هـ واسم رحلته « الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكية » وقد ضمنها وقائع رحلته إلى الحج سنة ١٢٩٣هـ وهي مطبوعة في فاس على الحجر . ومنها مخطوطة في خزانة الرباط برقم ٢٣٥٦ مكتوبة سنة ١٣٢٣هـ .

قدم الرحالة بحراً إلى جدة في ١٦ ذي القعدة سنة ١٢٩٣هـ وعاد إلى وطنه فاس في ١٥ ربيع الثاني سنة ١٢٩٤هـ . وقد رجع حمد الجاسر إلى مخطوطة خزانة الرباط ولخص عمله قائلاً : « وسننقل من رحلته ما يتعلق بتحديد المواضع ، أو ما يتصل بوصف الحالة الاجتماعية في الحجاز وما سننقله موجز جداً لأن الرحالة أفرغ جهده في إيضاح الأمور الدينية ، ولم يعن بالنواحي الجغرافية ، أو غيرها »(٥٧) .

ولا تخلو الهوامش في هذه الرحلة أيضاً من التنبيه على ما وهم فيه المؤلف من الأماكن أو العقائد أو الحوادث . ولكنها ملاحظات قليلة جداً لا تكاد تذكر .

١٣ ـ رحلة التامراوي :

والمؤلف هو محمد بن محمد المزواري التامراوي ، توفى سنة ١٢٨٥هـ . ذكر حمد الجاسر أنه قدم حاجاً بطريق البحر من السويس إلى جدة سنة ١٢٤٢هـ وعاد بطريق البر إلى مصر فوصلها في ١٣ صفر سنة ١٢٤٣هـ وبعد أن أقام عشرة أيام في القاهرة غادرها إلى بلده فوصلها في ٩ شعبان ١٢٤٣هـ .

والمقتطفات التي أوردها الناشر مأخوذة من كتاب « المعسول » و« هو كتاب يقع في أجزاء كثيرة مطبوع في المغرب ، ولكنه نادر في المشرق »(٥٨) . والرحلة كاملة تقع في الجزء الثامن منه .

يقع الملخص في ست صفحات والتعليقات عليه لا تخرج عما سبق ذكره من تعليقات على الرحلات السابقة وهي في هذه الرحلة لا تخلو منها صفحة من الصفحات .

١٤ ـ رحلة الشاكري :

عنوانها « رحلة إلى بيت الله الحرام » ومؤلفها إدريس بن عبد الهادي العلوي الشاكري الحسني ، توفى في المدينة المنورة سنة ١٣٣١هـ نسختها خطية في الخزانة العامة بالرباط تقع على ما ذكر حمد الجاسر في ١٠ ورقات في مجموع رقمه ٢٣٥٨ . وقد خرج مؤلفها من بلاده فاس في ٣ رمضان سنة ١٢٨٣هـ وأبحر من السويس إلى ينبع فوصلها في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٨٣هـ وصفها الجاسر بقوله : « وليس في هذه الرحلة التي سأورد ملخص ما يتعلق بالحجاز منها كبير فائدة إلا أن الحرص على تدوين ما يتعلق ببلادنا من أوصاف الرحالين ، وعلى معرفة ما يطرأ على معالم تلك البلاد بمرور الزمن يحمل على عدم إهمال شئ من الرحلات . وقد يجد أحد القراء في نص من النصوص مالا يجده غيره »(٥٩) . وفي نهايتها قال : « انتهى ما لخصته من تلك الرحلة ولم أر فيما كتب عن المدينتين الكريمتين المدينة ومكة ما يضيف جديداً إلى ما ذكره متقدمو الرحالين الذين لخصت كلامهم » .

١٥ ـ رحلة القطبي النهروالي :

وهو محمد بن أحمد النهروالي المكي (ت ٩٩٠هـ) ورحلته تسمى : « الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية » . لقد قدم حمد الجاسر لهذه الرحلة بمقدمة تحدث فيها عن رحلات علماء الحجاز وأدبائه ورحلة القطبي ـ كما يقول ـ أقدم هذه الرحلات(٦٠) وقد وصفها بقوله : « الرحلة تقع في قسمين : الأول وصف رحلاته إلى المدينة المنورة وهي سبع رحلات ، سجل منها أخبار خمس وأشار إلى اثنتين إحداهما حين رحل إلى المدينة مع والديه سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ، وهو في سن العشرين ، وهي أولى رحلاته إلى المدينة ، ولم يكتب عنها في كتاب رحلته شيئاً .. والرحلة الثانية ذكرها في سنة ٩٦٥هـ وترك بياضاً لوصفها فيما بعد . والرحلات الخمس التي سجل وصفها هي :

الرحلة الأولى سنة ٩٥٩هـ .
الرحلة الثانية سنة ٩٦٤هـ .
الرحلة الثالثة سنة ٩٧١هـ .
الرحلة الرابعة سنة ٩٧٦هـ .
الرحلة الخامسة سنة ٩٨٠هـ .

نشر الجاسر ملخصات ومقتطفات من رحلة القطبي كما فعل مع الرحلات السابقة وعلى الرغم من أن الجاسر قد حذف ـ على مضض ـ كثيراً من الأبيات والأسطر التي تحتوي على غلو في مخاطبة النبي ﷺ الشعرية العربية والفارسية ، كما بيّن ذلك في مقدمته الطويلة حول هذا الموضوع ، إلا أنه لم يغفل التعليق على كثير من المواضع . وكان من نتيجة قراءته لهذه الرحلة أن وجدنا تعليقات مفيدة على كثير من كلماتها واستعمالاتها اللغوية ، وما ورد فيها من تعبيرات . وكذلك بعض التصحيحات وقد بلغت هوامشه ٥٥ هامشاً وهي تختلف إلى حد ما عن مجرد القيام بالتلخيص الذي كان سمة عامة للرحلات السابقة .

١٦ ـ رحلة الخياري :

وهو إبراهيم بن عبد الرحمن (ت ١٠٨٣هـ) واسم رحلته « تحفة الأدباء وسلوة الغرباء » سجل فيها رحلته من المدينة إلى استانبول وعودته منها إلى المدينة وقد استعرضها الجاسر ضمن بحث بعنوان « مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته » نشره في مجلة العرب[٦١] .

تحدث الجاسر عن الشيخ إبراهيم الخياري وأسرته ومظان ترجمته ، ثم تحدث عن السبب في ارتحاله من المدينة إلى استانبول وتحدث عن الرحلات التي قام بها أهل الحجاز ومنها رحلة السيد محمد بن عبد الله الحسيني المعروف بكبريت (ت ١٠٧٠هـ) والنابلسي (ت ١١٤٣هـ) وقد استفاد الثاني من رحلة الخياري ونقل عنها على ما ذكر الناشر (ص ٢٢٣) . ثم أفرد حديثاً عن رحلة الخياري واصفاً إياها بأنها : أعظم أثر خلفه الشيخ إبراهيم الخياري (ص ٢٢٤) .

وتحدث عن تأليف الخياري لرسالة اسمها : « خلاصة الأبحاث والنقول » أفردها للحديث عن العناية بالمولد النبوي في بلاد الشام حاثاً على الاعتناء بليلة المولد ويومها ، وبيّن الجاسر مخالفة ذلك لعقيدة السلف ذاكراً أن العصر الذي عاش الخياري فيه ساد فيه الجمود الفكري وخيم على العالم الإسلامي من سحب الخرافات والتقليد مما شوه معالم الإسلام ومزجه بكثير من الخرافات والأباطيل البعيدة عن روحه »[٦٢] .

وبعد أن تحدث عن نسخ الرحلة في دار الكتب المصرية وألمانيا واستانبول قال بأن : « أجودها النسخة الألمانية التي كانت في مكتبة برلين ثم نقلت منها أثناء الحرب العالمية الثانية إلى إحدى المدن الألمانية ولا تزال محفوظة وسنعبر عنها بالنسخة الألمانية »[٦٣] .

هذه النسخة التي اعتمد عليها الناشر كتبت في حياة المؤلف في ١١ ربيع الثاني سنة ١٠٨٣هـ والمؤلف توفى في اليوم الثاني من رجب من هذا العام أي قبل وفاته بثمانين يوماً . وهي بخط رمضان العطيفي الدمشقي (ت ١٠٩٥هـ) وقد تحدث الناشر حديثاً مسهباً عن الشيخ العطيفي الذي اجتمع به صاحب الرحلة ودارت بينه وبينه مراسلات أدبية .

اتبع في هذه الرحلة الجاسر أسلوباً في التلخيص مختصراً جداً إذ يلخص في سطور قليلة ورقات كثيرة . ففي سطرين لخص مسيرة المؤلف من معان إلى مدينة دمشق وكان قد استغرق ذكره خمس ورقات في الأصل وفي ثلاثة أسطر ونصف لخص ٢٣ ورقة لمكث المؤلف في دمشق مدة تقارب عشرين يوماً .. وهكذا إلى أن وصل السلطان إلى مدينة (أقرينوز) وتابع المؤلف في رحلته ملخصاً بعض أحداث الرحلة تلخيصاً شديداً ، مطيلاً في بعض المواضع إطالة مناسبة إلى أن وصل المؤلف إلى المدينة المنورة في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٠٨١هـ .

١٧ ـ رحلة الجودي القيرواني :

وهي رحلة حديثة نسبياً إذ أن صاحبها محمد بن صالح الجودي القيرواني التميمي توفى في سنة ١٣٦٢هـ .

لم يذكر الناشر مكان وجود أصل هذه الرحلة ولا تاريخ نسخها ولكنها بخط المؤلف ويرى أن المؤلف قد عاجلته المنية قبل نقل رحلته من المسودة . « ولهذا وقع فيها كثير من الإضافات والهوامش ، مع عدم وضوح كثير من الكلمات مما يدل على أنه كان يكتب لنفسه لا ليقرأه غيره » .

بدأ المؤلف رحلته في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٣١هـ بحراً من بورسعيد ، وغادر المدينة في طريق العودة إلى الشام في ١٨ صفر سنة ١٣٣٢هـ .

نشر الجاسر هذه الرحلة على حلقات في مجلة « العرب » بلغت ثمانياً منذ العدد المزدوج ١ و٢ من المجلد السادس عشر وحتى العدد المزدوج ١١ و١٢ من المجلد السابع عشر وقد اعترى هذه الحلقات اضطراب في الترقيم ابتداء من الحلقة الخامسة التي رقمت خطأً بالرابعة ، وكذلك الحلقة الثامنة التي رقمت خطأً بالسابعة .

لخص الجاسر مواضع الرحلة وربط بين كثير من مواضعها بكلام من عنده مع إيراد نص المؤلف . واهتم بصفة خاصة بإبراز مشاهدات المؤلف فيما يخص النواحي العلمية

والثقافية ومن ذلك اجتماع المؤلف بعلماء وأدباء في أثناء رحلته ، وأورد في مواضع متعددة تردده على المكتبات العامة وسرده لأسماء الكتب التي رآها فيها .

أما هوامش الرحلة فقد انصبت ، كما في كثير من الرحلات التي لخصها ، على بيان موقف أهل السنة والجماعة مما ذكر المؤلف من بدع وخرافات وتعريف بالشخصيات المناهضة للدعوة السلفية ، أو بعض الكتب المتعلقة بالبدع أو التصوف . ولم يخل نص البحث من الإشارة إلى ذلك أيضاً .

١٨ ـ رحلة الوزير الإسحاقي المغربي :

ومؤلفها أبو محمد الشرقي الإسحاقي المغربي وقد قال عنه حمد الجاسر « ليس بين يدي من المصادر ما استفيد منه ترجمته ولكنه كان وزيراً لملك المغرب عبد الله بن إسماعيل ولأبيه من قبله »(٦٤) .

كان الوزير مرافقاً للأميرة خناثي أم سلطان المغرب عبد الله بن إسماعيل الحسني . وقد وصف في كتابه رحلة الأميرة للحج التي خرجت من فاس في جمادى الآخرة سنة ١١٤٣هـ » .

نشر الجاسر مقتطفات من الرحلة ابتداء من خروج ركب الأميرة من القاهرة إلى البلاد المقدسة ، على نسخة مصورة عن مخطوطة تحتفظ بها الخزانة الملكية في فاس وهي حديثة الكتابة إذ تاريخ نسخها ١٣٤٣هـ وتقع في ٣٩٨ صفحة بخط عبد الرحمن بن محمد بن زيدان (ت ١٣٦٥هـ) .

وفي النسخة سقط يقارب أربعين صفحة إذ ينتهي الكلام فيما وجد منها عند مشاهدات الرحالة في المدينة المنورة (من ص ٣٤٩ إلى ص ٣٨٩) حيث ينتهي الكتاب .

اقتصرت ملاحظات الناشر على التعليق الطفيف على بعض الأماكن والإشارة إلى ما جاء في الرحلة من البدع التي لا ترضي أهل السنة والجماعة .

حمد الجاسر والرحلات :

إن المستعرض لما نشره حمد الجاسر من مواد الرحلات الخاصة بالحج يلحظ أموراً مشتركة كانت تميز عمل الجاسر في هذا المجال . ويمكن إجمالها بالآتي :

١ ـ أنه اقتصر في نشره على المواد التي تتعلق بالجزيرة العربية ، فهو يبدأ مع الرحلة

منذ أن يترك آخر قطر قريب من الجزيرة فبالنسبة لحجاج البر القادمين من المغرب نجد المعلومات المنشورة تبدأ منذ أن يترك الرحالة موضع « البركة » متوجهاً عبر سيناء في طريق الحج المصري . وبالنسبة لحجاج البحر يبدأ بنشر المعلومات منذ أن يترك الحاج بلدة السويس .

٢ ـ كان التلخيص تارة يحتفظ بالنص المكتوب من قبل الرحالة وتارة يكون بكلام في معناه طلباً للاختصار .

٣ ـ اهتم الجاسر اهتماماً واضحاً بتبيين البدع التي ذكرها الرحالة من تبرك بالقبور أوإشادة بالقباب ، أو توسل بالرسول عليه الصلاة والسلام ، أو حديث عن الموالد أو ذكر لكتب لا تتفق وموقف أهل السنة والجماعة . وكان يعلل في كل مناسبة أن ذلك كان بسبب « الجمود الفكري » الذي خيم على العالم الإسلامي في تلك العصور . ويبين في مواضع مختلفة أن هذه الأمور قد زالت الآن ولم يعد لها أثر . ولقد حذف الجاسر بعض نصوص من هذه الرحلات هي في صميم الوصف الفعلي لما كان يحدث في الأماكن المقدسة من ممارسات دينية في ذلك الوقت . فعل ذلك مضطراً معتذراً بأن صدور بعض القراء لا تتسع لتلك المعلومات . وأنه لم يجد بداً من حذفها .

٤ ـ اهتم الجاسر في معظم هذه الرحلات ـ كعادته ـ بإبراز النصوص ، إذا ما ذكرها ، كما تركها مؤلفوها ، واقتصر التعليق عنده على تصحيح طفيف لبعض أسماء الأماكن ، أو تصويب لبعض المعلومات ، وهذا لا ينفي أنه بذل جهداً متفاوتاً في نشر هذه الرحلات فنجد مثلاً تعليقاته على رحلات القطبي إلى المدينة تتميز بالثراء أكثر من تعليقاته على الرحلات الأخرى . كما نجده يكتفي في رحلات أخرى بذكر الملخص دون عناية تذكر بتصحيح أو تعقيب إلا ما يخص العقيدة .

٥ ـ لم يهتم الجاسر بذكر الأمور الفقهية التي يوردها الرحالون أثناء رحلاتهم مما يتعلق بمناسك الحج . وعلل ذلك بأنه معروف وأن مكانه كتب الفقه .

٦ ـ من الملاحظ أيضاً أن الجاسر كان يعتذر لأعراب ذلك الزمان ممن كانوا يعتدون على الحجاج بالسلب والنهب والقتل . ويبين أن سبب ذلك راجع إلى الفقر الذي كانت تعيشه الجزيرة العربية . إلى جانب عدم الاستقرار السياسي . كما

يشير إلى أن تلك الممارسات قد انتهت ؛ ولله الحمد ، باستقرار البلاد منذ أن دخلت جميعها في حكم الدولة السعودية .



• الهوامش •

(*) انظر للكاتب ، «حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة» ، الدارة ، ع ١ ، مج ٢ ربيع الأول ١٣٩٥هـ/ مارس ١٩٧٥م ص ٤٤ ـ ٦٢ و« حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب العقيدة والتشريع) الدارة ، ع ٤ ، مج ٣ صفر سنة ١٣٩٨هـ/يناير ١٩٧٨م ص ٨ ـ ٢١ و« حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب التفسير والحديث) الدارة ، ع ٣ مج ٤ ، شوال ١٣٩٨هـ/سبتمبر ١٩٧٨م وكتب التاريخ (١) ، الدارة ع ٤ مج ٥ رجب ١٤٠٠هـ/يونية ١٩٨٠م ص ٢١ ـ ٢٨ و«حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب التاريخ (٢) الدارة ع ٣ مج ٥ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ/مارس ١٩٨٠م ص ٩ ـ ١٦ و« حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب الجغرافية) الدارة ، ع ٤ ، مج ١٤ ، رجب ، شعبان ، رمضان ١٤٠٩هـ ، ص ص ٦ ـ ١٤ . والدارة ع ٢ ، مج ١٥ ، المحرم ، صفر ، ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ ، ص ص ٧ ـ ١٩ .

(١) كما في الحلقة السابعة فقد ظهرت مكررة في ثلاثة أجزاء . والحلقة ٢٣ وكان حقها أن تكون ٢٤ والحلقة ٢٨ وقد رقمت خطأً ٣١ وغير ذلك .

(٢) العرب ، مج ٢٤ ج ٣ و ٤ رمضان وشوال سنة ١٤٠٩هـ/مارس وأبريل سنة ١٩٨٩م ص ص ٢٧٥ ـ ٢٨٠ .

(٣) العرب مج ١ ، ج ٤ شوال ١٣٨٦هـ/كانون الثاني ١٩٦٧م ص ص ٣٠٩ ـ ٣٢٢ ، ومج ١ ج ٦ ذو الحجة ١٣٨٦هـ/آذار ١٩٦٧م ص ص ٥٤١ ـ ٤٤٥ ، ومج ١ ج ٧ محرم ١٣٨٧هـ/نيسان ١٩٦٧م ص ص ٦٢١ ـ ٦٢٤ ، ومج ١ ج ٨ صفر سنة ١٣٨٧هـ/آيار ١٩٦٧م ، ص ص ٧٢٠ ـ ٧٢٣ و٧٢٥ .

(٤) العرب مج ١ ج ٨ ص ٧٢٥ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر على سبيل المثال الآراء التي أوردها حول تسمية «الحجون» وتحديده ، العرب مج ٢٣ ج ٩ و١٠ الربيعان ١٤٠٩هـ ص ٧٠٥ .

(٧) الجاسر ، حمد ، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

(٨) الجاسر ، حمد ، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ص ٧١ ـ ٩٢ والتلخيص الآتي كله منه .

(٩) المصدر السابق ص ٩٢ .

(١٠) المصدر السابق ص ٩٤ وما بعدها .

(١١) البكري ، معجم ما استعجم ، المقدمة .

ويرى الجاسر أن عراماً السلمي كان معاصراً للهجري ، وأن السكوني في هذه الحالة كان متأخراً عن الهجري ، أبو علي الهجري ، ص ٧٠ .

(١٢) جامعة الرياض ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الأول ، الرياض ،

مطابع جامعة الرياض سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ص ٢٢٩ - ٢٤٤ .

(١٣) الجزيري ، عبد القادر بن محمد ، درر الفرائد ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها سنة ١٣٨٤ هـ المقدمة .

(١٤) الجاسر ، حمد ، «كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب» مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(١٥) الجاسر ، حمد ، «كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب» مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(١٦) الجزيري ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، نشر حمد الجاسر ، الرياض دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، المقدمة .

(١٧) الجاسر ، حمد ، المصدر السابق ص ص ٩ - ١٠ .

(١٨) المصدر نفسه ص ١٢ .

(١٩) المصدر نفسه ص ٥٨ .

(٢٠) المصدر نفسه ص ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

(٢٢) انظر على سبيل المثال إشارته إلى «تاريخ مكة» للأزرقي ص ص ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٦ وإلى «شفاء الغرام» للفاسي ص ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ .

(٢٣) العرب ، مج ١٠ ج ١١ ، جماديان ١٣٩٦هـ مايو - يونيو ١٩٧٦م ص ٨٦٩ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٨٧٠ .

(٢٥) حمد الجاسر ، «كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب» ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢٦) مجلة العرب ، المصدر السابق ، ص ٨٧٥ .

(٢٧) العرب مج ١٢ ج ٥ و ٦ ، ذو القعدة والحجة سنة ١٣٩٧هـ/نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٧م ص ص ٤٠٦ - ٤١٤ .

(٢٨) المصدر نفسه ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٢٩) المصدر نفسه ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٣٠) العرب ج ٣ ج ٤ شوال ١٣٨٨هـ/يناير ١٩٦٩م ص ص ٣٠٤ - ٣٢٤ .

(٣١) قال عنه «وقد ضبط الشيخ محب الدين ابن العطار في سنة ٨٣٦ منازل طريق الحج في الدرب المصري ومناهله في وريقات مختصرة إلى الغاية ، وأحال على «درر» ، ص ٧٤٦ وقد مر بنا أن ابن العطار كان قد وصف طريق الحج الشامي .

(٣٢) العرب مج ١٨ ج ١ و ٢ رجب - شعبان سنة ١٤٠٣هـ/أبريل - مايو ١٩٨٣م ص ص ١ - ٥٣ وص ص ١٨٧ - ٢١٤ وص ص ٣٥٧ - ٣٨٢ .

(٣٣) العرب مج ١٨ ، ج ٥ و٦ ذو القعدة والحجة ١٤٠٣هـ/سبتمبر واكتوبر ١٩٨٣م ص ٣٦٦ .

(٣٤) المصدر السابق مج ١٨ ، ج ١ و٢ ص ١٩ .

(٣٥) نفسه ص ٢٠ .

(٣٦) العرب مج ١٨ ج ٥ و٦ ذو القعدة والحجة سنة ١٤٠٣هـ/سبتمبر واكتوبر ١٩٨٣م ص ص ٣٥٧ - ٣٨٢ .

(٣٧) انظر المقدمة، العرب مج ٨ ج ٥ و٦، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٣هـ/ديسمبر - يناير ١٩٧٤م ص ص ٣٢٥ - ٣٣٠.
(٣٨) العرب مج ١ ج ٢ شعبان ١٣٨٦هـ/تشرين الثاني ١٩٦٦م ص ١٤٣.
(٣٩) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(٤٠) العرب مج ٩ ج ٥ و٦ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٤هـ يناير ١٩٧٥م ص ٣٢١.
(٤١) المصدر نفسه ص ٣٢٨.
(٤٢) العرب مج ١١ ج ٩ و١٠ ص ٧٢٨.
(٤٣) العرب مج ١٢ ج ١و٢ رجب وشعبان ١٣٩٧هـ ص ٦٨.
(٤٤) «الطائف في القرن الحادي عشر»، العرب مج ٧، ج ٤ شوال ١٣٩٢هـ/نوفمبر ١٩٧٢م ص ص ٢٩٤ - ٣٠١.
(٤٥) «جدة في القرن الحادي عشر» العرب مج ٧، ج ٥ ذو القعدة سنة ١٣٩٢هـ/ديسمبر ١٩٧٢م ص ص ٣٩١ - ٣٩٤.
(٤٦) مقتطفات من رحلة العياشي ماء الموائد، ط الرفاعي ص ٣٧.
(٤٧) المصدر نفسه ص ٩٩.
(٤٨) الجاسر، حمد، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، العرب مج ١٢ ج ٥ و٦ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٧هـ/نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٧م ص ٤٢١.
(٤٩) العرب مج ١٢، ج ٧ و٨، محرم وصفر سنة ١٣٩٨هـ/يناير - فبراير ١٩٧٨م ص ٥٢٨.
(٥٠) المصدر نفسه ص ٥٢٧.
(٥١) ورد في معرض كلام العياشي عنه قوله: «قد ظفرت بمصر برسالة الشيخ محمد البكري وأظنه شيخنا محمد بن الشيخ زين العابدين ... فأردت أن اقتطف منها ما يكون في أذن هذه الرحلة شنفاً» العرب مج ١٢، ج ١١ و١٢ جمادىان ١٣٩٨هـ.
(٥٢) المصدر السابق، الموضع السابق.
(٥٣) العرب، مج ١٣ ج ١ و٢ رجب وشعبان ١٣٩٨هـ/يولية - أغسطس ١٩٧٨م ص ٤٨.
(٥٤) العرب مج ١٣، ج ٣ و٤ رمضان وشوال سنة ١٣٩٨هـ/سبتمبر - أكتوبر ١٩٧٨م ص ٢٥٠.
(٥٥) المصدر نفسه ص ٢٥٥.
(٥٦) العرب مج ١٣، ج ٥ و٦ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٨هـ/نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٨م ص ٣٥٢.
(٥٧) العرب مج ١٣ ج ٧ و٨ محرم وصفر سنة ١٣٩٩هـ/يناير - فبراير ١٩٧٩م ص ٥٠٥.
(٥٨) العرب، مج ١٣، ج ٩ و١٠، الربيعان ١٣٩٩هـ/مارس - أبريل ١٩٧٩م ص ٦٦٦.
(٥٩) العرب مج ١٤، ج ٧ و٨، محرم وصفر سنة ١٤٠٠هـ/ديسمبر - يناير ١٩٨٠م ص ٥٢٢.
(٦٠) العرب مج ١٦، ج ٧ و٨، محرم وصفر ١٤٠٢هـ/نوفمبر - ديسمبر ١٩٨١م ص ٥٠٣.
(٦١) العرب مج ٢، ج ٣ رمضان سنة ١٣٨٧هـ/كانون الأول ١٩٦٧م ص ص ٢١٩ - ٢٤٤.
(٦٢) المصدر السابق.
(٦٣) المصدر السابق ص ٢٢٧.
(٦٤) العرب، مج ١٩، ج ١١ و١٢ جمادىان ١٤٠٥هـ/فبراير - مارس ١٩٨٥م ص ٧٣٦ وقد نشرت الحلقة الثانية والأخيرة من ملخصات هذه الرحلة في العرب مج ٢٠، ج ١ و٢، رجب وشعبان ١٤٠٥هـ/أبريل مايو ١٩٨٥م ص ص ١٠٨ - ١١٩.